جامعة الأزهر
كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنين بالديدامون – شرقية

بلاغة القرآن ووسطيته في معالجة الشقاق بين الزوجين

إعداد

دكتور: أسماء عبد العال محمد عبد العال

مدرس البلاغة والنقد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات

بالقرين – جامعة الأزهر

المؤتمر العلمي الدولي الأول

١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م

بلاغة القرآن ووسطيته في معالجة الشقاق بين الزوجين

أسماء عبد العال محمد عبد العال

قسم البلاغة والنقد – كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالقرين –

جامعة الأزهر– مدينة القرين –جمهورية مصر العربية.

ملخص البحث :

الحمد الله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق وسيد المرسلين.

هذا بحث بعنوان (بلاغة القرآن ووسطيته في معالجة الشقاق بين الزوجين)

وكان من أ سباب اختياره تر سيخ جذور قوية للبلاغة القرآنية في الدرا سات العربية، وإظهار بلاغة القرآن وو سطيته في مواجهة المشكلات الأسرية ، ومدى مرونته وصلاحيته في كل زمان ومكان، مع بيان ما تفردت به الآيات القرآنية التي تعالج الشقاق بين الزوجين من ظواهر وأساليب، التي تظهر دور الشريعة الإسلامية الغراء ، ووسطيتها في تنظيم العلاقات الزوجية، والبعد عن الشقاق والنشوز .

هذا ، وقد جاء البحث في مقدمة ، وتمهيد ، ومبحثين، وخاتمة ، وفهرس للمصادر والمراجع، أما المقدمة فتشتمل على أهمية البحث ، وأسباب اختياره ، والمنهج المتبع فيه، والخطة التي أعدت لإنجازه، والتمهيد تضمن الحديث عن بلاغة القرآن، ثم وقفة مع معانى الوسطية ، وبيان مفهوم الشقاق لغة واصطلاحاً، وبيان اهتمام الإسلام بالأسرة المسلمة ، ودوره الفاعل في معالجة الشقاق والنشوز، ونبذة عن سورة النساء محل الآيات التي عالجت قضية الشقاق بين الزوجين، وجاء المبحث الأول بعنوان: البلاغة القرآنية في معالجة نشوز الزوجة ، والمبحث الثاني: البلاغة القرآنية في معالجة نشوز الزوج.

واشتملت الخاتمة، على أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها في نهاية هذا البحث، والتي من أهمها بلاغة اللفظة القرآنية في الآيات ومناسبتها للمعنى المراد منها، تنوع الأساليب البلاغية في الآيات القرآنية ما بين إيجاز وإطناب، وخبر وإنشاء وكل له أسراره التي ذكرت في

مواضعها، وفي النهاية أوصي نفسي وكل باحث في البلاغة العربية أن يستقي أصول هذا العلم من نبعه الصافي العذب وهو (القرآن الكريم)، والله أسأل أن ينفعنا بما علمنا إنه ولي ذلك والقادر عليه، والحمد لله رب العالمين.

الكلمات المفتاحية: بلاغة – القرآن ـ وسطية – الشقاق – الزوجين.

the Eloquence and Modesty of the Qur'an in Deali ng with Discord between Spouse In the Holy Quran, an analytical rhetorical study

Asmaa Abdel Aal Mohammed Abd el Aal
Department of Rhetoric and Criticism - College of Islamic and Arabic Studies for girl in alqarin
Al-Azhar University – city: alqarin
Country: Arab Republic of Egypt.

Research Summary

Praise be te God the Generous the Benevo leat، and tha nks be to God fer،the great bountty & benevolence، ease an d help me to Study's the shadows of the Qur'an.

My research was entitled(the Eloquence and Modesty of the Qur'an in Dealing with Discord between Spouse).

One of the reasons for its choice was to establish strong roots for Quranic rhetoric in Islamic Studies. and to show the eloquence and moderation of the Qur'an in the face of Contemp،rary problems، which are emerging، and the extent of its flexibility and validity at every place time with an explanation of the uniqueness of the Quranic verse as that deal with Discord between Spouse. in terms of phenomena and methods which show the role of Islamic Sharia and its moderation in rejecting violence ،and what it ordered to regulate relations Marriage avoidance of discord and disobedience

the Research included: an introductions، a preface، two chapters، a conclusion and general indexes. As for the introduction، it includes the importance of the topic، the reasons fer choosing it، the approach fallowed and the plan prepared to achieve it. The preface includes talking about the eloquence of the Qur'an and the explanation of Islam's interest in the Muslim family and is active role in dealing with discord disobedience، then stopping it the meaning of moderation and overview of Sur at al- Nisa ،where the verses that dealt with the iss ue of discord between، spouses.

The First topic was entitled: Quran. Rhetoric in dealing with husbands insubordination. The Conclusion included the most

important results and recommendations reached at the end of research، the most important of which is the eloquence of the Quranic verses and its relevance to the intended meaning.

In the end، I recommend myself And every researcher of Arabic rhetoric to derive the origins of this Science from ، its pure and sweet spring (the Holy Quran) and Task God to benefit us with what we know that He is the Guardian of that and He is able to do it، and praise be to God Lord of the worlds

Keywords:(the Eloquence - Modesty- the Qur'an - Discord -the Couple)

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد الله الكريم المنان، والشكر له على جزيل الفضل ، والاحسان ، يسر وأعان على دراسة في ظلال القرآن، والصلاة والسلام على أشرف الخلق وسيد المرسلين ، وإمام المصلحين، سيدنا محمد الأمين الذى أرسله الله بالهدى واليقين ليصلح به الدنيا والدين ، وينشر السلام بالإسلام، ويؤلف بين الأنام بالمحبة والوئام ، عليه أفضل الصلاة والسلام.

أما بعد.....

فإن علم البلاغة أحد العلوم التي تخدم القرآن الكريم ؛لأنه يتوصل بها إلى معرفة أسرار بلاغته، ودلائل إعجازه، وترشدنا إلى مواطن السر من إعجاز كتاب رب العالمين عن إيمان ويقين.

والقرآن الكريم هو حبل الله المتين ، والذكر الحكيم ، والمعجزة الخالدة على مر الأزمان، وقد شَرفت أمة الإسلام بأفضل كتاب نزل على خير نبى عليه أفضل الصلاة والسلام، فكانت خير أمة أخرجت للناس ، وأعدلها ، وأوسطها ، وقد رسم لنا القرآن الكريم منهج الوسطية في جميع جوانبه أصولاً ، وفروعاً ، عقيدة ، وعبادة ، خلقاً ، وسلوكاً، تصوراً، وعملاً .

وقد اهتم الإسلام بالأسرة المسلمة اهتماما بالغاً ، وأحاطها بسياج من الضوابط التي تكفل لها السعادة ، والاستقرار ، وتجنبها مواطن الشقاء باعتبارها اللبنة الأولى في بناء المجتمع المسلم، وتظهر وسطية الإسلام في تنظيمه للحياة الزوجية ، وحثه على الوفاق بين الزوجين ، وحسن المعاشرة ، حيث قال الله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا

وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾[1]؛ ولما كانت الحياة تعترضها الأحداث، وتعتريها المشكلات المختلفة دعا الإسلام إلى الحكمة والتريث في علاجها، وبذل الجهد في معالجة الشقاق بين الزوجين، وهنا تبرز وسطية الإسلام في معالجة هذا الشقاق، والحرص على تحقيق الأمن للفرد والمجتمع، والبعد عن أسباب تفكك الرباط الأسرى وما يترتب عليه من تشتت، وضياع للأبناء خاصة وللأسرة عامة؛ فكان اختياري لهذا الموضوع

(بلاغة القرآن ووسطيته في معالجة الشقاق بين الزوجين)

أولاً: أسباب اختيار البحث.

١- القرآن معجزة خالدة على مدى الدهور والأزمان، والدراسات البلاغية القرآنية تثبتها وتؤكدها.

٢- ترسيخ جذور قوية للبلاغة القرآنية في الدراسات العربية.

٣- إبراز بلاغة القرآن الكريم، ووسطيته في مواجهة المشكلات الأسرية.

٤-إظهار ما تفردت به الآيات القرآنية التي تعالج الشقاق بين الزوجين، من ظواهر وأساليب، والتي تظهر دور الشريعة الإسلامية الغراء، ووسطيتها في تنظيم العلاقات الزوجية، والبعد عن الشقاق والنشوز.

ثانياً: منهج البحث.

اعتمدت في هذه الدراسة على المنهج البلاغي التحليلي، والذى يتلخص فيما يأتي:

١- التحليل اللغوي للألفاظ، وتلمس دلالتها اللغوية، وإيحاءاتها، ومعرفة استعمالاتها، وهذا يرشدنا إلى الكشف عن جمال الألفاظ في موقعها الخاص بها، وسر اختيارها.

٢- الإشارة إلى سر التعبير القرآني لألفاظ الآيات دون غيرها من المترادفات، وربط ذلك بالغرض المسوق له الكلام

---

(١) سورة النساء: الآية(١٩).

ثالثاً: خطة البحث.

وأما عن خطة البحث ، فتشتمل على مقدمة ، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة ، وفهرس للمصادر والمراجع :

أولاً: المقدمة وتشتمل على أهمية الموضوع ، وأسباب اختياره ، والمنهج المتبع فيه، والخطة التي أعدت لإنجازه.

ثانياً: التمهيد ويشتمل على الحديث عن بلاغة القرآن ، وإظهار معانى الوسطية ، وبيان مفهوم الشقاق لغة واصطلاحاً، وبيان اهتمام الإسلام بالأسرة المسلمة ، ونبذة عن سورة النساء محل الآيات الكريمة التي عالجت قضية الشقاق بين الزوجين.

ثالثاً: المباحث، وتشتمل على مبحثين :

المبحث الأول: البلاغة القرآنية في معالجة نشوز الزوجة.

المبحث الثاني: البلاغة القرآنية في معالجة نشوز الزوج.

رابعاً: الخاتمة، وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها في نهاية هذا البحث.

وبعد ، فهذه محاولة متوا ضعة للو صول إلى بعض دقائق القرآن الكريم ، فإن وفقت في شيء من ذلك فبفضله سبحانه وتعالى، وإن كانت الأخرى، فحسبي أني اجتهدت، والله أسأل أن يغفر لي ما جرى به قلمي بلفظ لا يليق ، أو ذكر معنى يخالف مراده سبحانه وتعالى في كتابه الكريم، كما أ سأله أن يفقهنا في الدين ، وأن يلهمنا الفهم الصحيح لآيات كتابه العزيز، إنه ولى ذلك والقادر عليه.

تمهيد

بلاغة القرآن

جاء القرآن الكريم فكان المعجزة الخالدة التي أعجزت العرب الفصحاء ، ووقفت دونها عقول البلغاء، وما استطاعوا إلى معارضته سبيلا ، فظهر عجزهم ، وخاطبهم الله بقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[1]، وقد كان القرآن الكريم ، ولا يزال المائدة الحافلة التي تتداعى لها النفوس على اختلاف مشاربها ، ومنازعها وأهوائها ، فالمكتبة القرآنية ثرية بالكتب الباحثة عن مفرداته، ومجازه ، وإعرابه ، وبلاغته بداية من مجاز القرآن لأبي عبيدة، وعناية الخطابي، والباقلاني بالكشف عن وجوه الإعجاز، واحتفال الإمام عبد القاهر، والزمخشري بالبحث عن أسرار النظم ، وغير ذلك من العلماء الذين ساروا في نفس الطريق من القدماء والمحدثين [2].

ويتسم الأسلوب القرآني الكريم بالمرونة والاتساق مع المشاهد واللوحات النابضة بحياة الموقف، حتى إننا لنجد الكلمة بذاتها تأتي في عدة سياقات ، ولها دلالة مختلفة في كل سياق بحسب ما يقتضيه المعني ويتطلبه المقام، ويقول الرافعي في بيان الأسلوب القرآني:" وكلما ازداد الزمان عمراً، وبلغ الدهر شأواً وغاية انبثقت أساليب القرآن وكلماته ؛ لتشع بضوئها ونورها؛ لتنطلق كائنات الوجود من جديد بمراميه ودلالته، ، وما أشبه القرآن الكريم في تركيب إعجازه، وإعجاز تركيبه بصورة كلامية من نظام هذا الكون الذي اكتنفه العلماء من كل جهة، وتعاوروه من كل ناحية، وأخلقوا جوانبه بحثا وتفتيشا، ثم هو بعد لا يزال

---

(١) سورة البقرة: الآية (٢٣).

(٢) يراجع: من جمال النظم القرآني في سورة إبراهيم دراسة تحليلية بلاغية، د، صلاح الدين محمد ط١، ١٤١٠هـ، ١٩٨٩م ص:(٤) (بتصرف).

عندهم على كل ذلك خلقاً جديداً، ومراماً بعيدا، وصعبا شديدا "[1].

ويقول في وصف ألفاظه ومعانيه : (ألفاظ إذا اشتدت فأمواج البحار الزاخرة، ، وإذا هي لانت فأنفاس الحياة الآخرة، تذكر الدنيا ، فمنها عمادها ، ونظامها وتصف الآخرة فمنها جنتها وصرامها، ومتى وعدت من كرم الله جعلت الثغور تضحك في وجوه الغيوب، وإن أوعدت بعذاب الله جعلت الألسنة ترعَد من حمى القلوب ، ومعان بينا هي عذوبة ترويك من ماء البيان، ورقة تستروح منها نسيم الجنان، ونور تبصر به في مرآة الإيمان وجه الأمان)[2].

والفهم الصحيح لما يرمى إليه القرآن طريقه هو النص القرآني نفسه بمعنى التعرف على الدلالة اللغوية للكلمة، ثم نخلص لمعرفة المعنى القرآني باستقراء كل ما في القرآن من صيغ اللفظ، وبذلك يعد نظم النص القرآني هو العمدة والمعول في استخراج المعاني والأحكام الفقهية، والقضايا الاجتماعية، وعلى ضوء هذا ستكون رحلتنا مع الآيات القرآنية من سورة النساء، والتي عالجت الشقاق بين الزوجين.

ولقد جاء منهج الوسطية في القرآن الكريم في أساليب عدة تصريحاً، وايماءً ، مفصلاً ، ومجملاً، خبرا وانشاء، أمرا ونهيا ، ولنبدأ بوقفة موجزة مع تحديد معنى الوسطية .

مفهوم الوسطية لغة واصطلاحاً

الوسطية في اللغة:

جاءت كلمة (وسط) في اللغة لعدة معان، ولكنها متقاربة في مدلولها عند التأمل في حقيقتها ومآلها.

قال ابن فارس: (وسط): الواو والسين والطاء: بناء صحيح يدل على العدل والنصف،

---

(١) يراجع: إعجاز القران والبلاغة النبوية مصطفي صادق الرافعي ،ط٤، مطبعة الاستقامة بالقاهرة ، ١٩٤٥م، ص:(١٥٧).

(٢) يراجع: إعجاز القران والبلاغة النبوية، ص:(٢٣).

وأعدل الشيء: أوسطه، ووسطه، قال الله ﷻ﴿ أمة وسطا﴾ [1][2].

ويمكن إجمال المعاني التي جاءت تدل عليها هذه الكلمة فيما يلي :

١- (وسط) بسكون السين تكون ظرفا بمعنى (بين)، تقول: جلست وسط القوم، أي: بينهم[3] وتأتي وسَط بالفتح - اسمًا لما بين طرفي الشيء وهو منه، ومن ذلك: قبضتٌ وسط الحبل[4].

٢- وتأتي بالفتح أيضًا صفة، بمعنى خيار، وأفضل، وأجود، فأوسط الشيء أفضله وخياره: كوسط المرعى خير من طرفيه، وواسطة القلادة: الجوهر الذي وسطها، وهو أجودها[5].

٣- وتأتي وسط بالفتح بمعني عدل، قال ابن فارس: وسط: بناء صحيح يدلّ على العدل، وأعدل الشيء أوسطه ووسطه[6].

٤- وتأتي (وسَط) بالفتح أيضا للشيء بين الجيد والرديء[7]، ومنه ما ورد في الحديث الشريف عن عبد الله بن معاوية الْغَاضِرِيِّ، قَالَ النَّبِيُّ (ﷺ)"وَلَكِنْ مِنْ وَسَطِ أَمْوَالِكُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَسْأَلْكُمْ خَيْرَهُ، وَلَمْ يَأْمُرْكُمْ بِشَرِّهِ"[8]

□

---

(١) يراجع: معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، مادة (وسط).

(٢) سورة البقرة: من الآية (١٤٣).

(٣) لسان العرب لابن منظور، ط٣، ١٤١٤هـ، دار صادر ، بيروت. مادة (وسط). .

(٤) يراجع: السابق مادة (وسط).

(٥) يراجع: لسان العرب مادة (وسط).

(٦) يراجع: معجم مقاييس اللغة مادة (وسط).

(٧) يراجع: مادة (وسط) في الصحاح.

(٨) أخرجه أبو داود سليمان بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني في سننه ،كتاب الزكاة/ باب ، زكاة السائمة ، حديث رقم (١٥٨٢)، (٢/ ١٠٣، ١٠٤)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.

مفهوم الوسطية في الاصطلاح:

عرف بعض العلماء المعاصرين الوسطية بأنها: مؤهل الأمة الإسلامية من العدالة، والخيرية للقيام بالشهادة على العالمين، وإقامة الحجَّة عليهم[1].

وإذا أضيفت المعاني السابقة إلى الأمة الإسلامية ، فيكون المراد بذلك أنها قد بلغت بصفاتها المحمودة المكتسبة من شرع الله تعالى مكانة في الاعتدال والخيرية والإنصاف ، والرفعة ما يجعلها سيدة الأمم، وقائدة الشعوب ، وشاهدة عليهم يوم يقوم الأشهاد.

استعمالات كلمة الوسطية في القرآن الكريم:

وردت كلمة (وسط) في القرآن في عدَّة مواضع، وذلك بتصاريفها المتعدّدة.

أولا: كلمة "وسطا": وردت في قوله تعالى:﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾[2].

ثانيا: كلمة "الوسطى" وقد وردت هذه الكلمة في قوله سبحانه:﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا للَّهِ قَانِتِينَ ﴾[3]، وقد رجح الإمام الطبري الرأي القائل بأن الصّلاة الوسطى هي العصر[4].

ثالثا: كلمة (أوسط) ، وقد وردت هذه الكلمة في آيتين:

الأولى في قوله تعالى:﴿ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾[5].

---

(١) يراجع: الوسطية في القرآن الكريم ، د/ علي الصلابي ، ط١ ، ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠١م ص:(٣٣) نقلاً عن بحث رسالة ماجستير بعنوان الوسطية في الإسلام ، مقدم من الباحث فريد عبدالقادر ، جامعة محمد بن سعود ص:(٢٩).

(٢) سورة البقرة: من الآية (١٤٣).

(٣) سورة البقرة: من الآية (٢٣٨).

(٤) تفسير الطبري ،جامع البيان في تأويل القرآن ، محمد بن جرير الطبري ، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة ، ط١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م. (٢/ ٥٦٤).

(٥) سورة المائدة :الآية (٨٩).

والثانية في سورة القلم في قوله تعالى:﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلا تُسَبِّحُونَ﴾[1]

رابعا: كلمة (فوسطن) وردت في قوله تعالى:﴿ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً﴾[2] قال الطبري: (وسطن جمع القوم)[3].

ومن خلال ما سبق يتبين لنا أن المعاني اللغوية لكلمة (وسط) كلها متقاربة، تدور حول العدل، والإنصاف.

مفهوم الشقاق لغة واصطلاحاً

الشقاق في اللغة:

مأخوذ من فعل ما يشق ويصعب، فَكَأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ يَحْرِصُ عَلَى مَا يَشُقُّ عَلَى صَاحِبِهِ والشِّقَاقُ الْمُنَازَعَةُ، وَقِيلَ: الشِّقَاقُ الْمُجَادَلَةُ وَالْمُخَالَفَةُ وَالتَّعَادِي، وَأَصْلُهُ مِنَ الشِّقِّ وَهُوَ الْجَانِبُ، فَكَأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ فِي شِقٍّ غَيْرِ شِقِّ صَاحِبِهِ[4].

الشقاق في الاصطلاح:

هو وقوع الخلاف والعداوة بين الزوجين على نحو يستدعى تدخل الآخرين للإصلاح بينهما[5]

اهتمام الإسلام بالأسرة المسلمة:

لقد اهتم الإسلام بالأسرة المسلمة اهتماما كبيرا، فنظر إلى الزواج نظرة ملؤها الإجلال والإكبار، فجعله ميثاقاً غليظاً، ومنحه كثيرا من العناية وجعل العلاقة بين الزوجين قائمة

---

(١) سورة القلم :الآية (٢٨).

(٢) سورة العاديات: الآية (٥).

(٣) يراجع: تفسير الطبري (٢٤/ ٥٦٤).

(٤) مختار الصحاح لزين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، المحقق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ط٥، ١٤٢٠هـ،١٩٩٩م (٣٤٣).

(٥) البناية شرح الهداية، لأبي محمد محمود الغيتابى بدر الدين العينى، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م. (٤/ ٢١١).

على الستر والتكامل وتربية الأبناء تربية صالحة قائمة على دين الله عز وجل ، وتحدث عن جملة من الو سائل التي إذا روعيت كانت وقاية للحياة الزوجية من التدهور ، ومن هذه الو سائل التي تبرز وسطية الإسلام أنه دعا الزوجين في البداية إلى شعور كل واحد منهما بمسئوليته نحو الآخر، ونحو أولادهما ، فقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [1]، وفي الحديث الشريف ما جاء عن ابن عمر، عن النبي (ﷺ)أنه قال: «أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، إلى أن قال: وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ، وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، »[2].

وإذا بدأ الخلاف بينهما أوصى كل واحد منهما بتحمل أخلاق الآخر، حيث إن الاختلاف بين الناس في أخلاقهم وطباعهم سنة قضى الله بها ، وأن يتغاضى كل منهما عما لا يرضيه من الطرف الآخر، فقد يكون فيه الخير، حيث يقول الله عز وجل: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾ [3]

كما وضع نظاماً فريداً خاصاً عندما تتعرض الحياة الزوجية للاضطراب الذى قد يؤدى إلى قلب أوضاعها وعدم استقرارها، ويتمثل في الوسائل العلاجية للنشوز والشقاق باعتبارهما من أخطر الأمراض التي تعصف بالحياة الزوجية، وتهدد أمنها، وتؤثر سلباً على الفرد والمجتمع، وتؤدى إلى ضياع الأبناء وتشتتهم ، وهذه هي عدالة الإسلام حيث وضعت الإجراءات الوقائية لحماية الأسرة من التفكك قبل الخلاف ، وبعد الخلاف تقدم العلاج المناسب، للقضاء على هذا النزاع الذى يهدد الرباط الأسرى ، وينذره بالتشتت والضياع.

---

(١) سورة التحريم : الآية (٦).

(٢) يراجع: أخرجه مسلم بن الحجاج النيسابوري في صحيحه، باب الْحَثِّ عَلَى الرِّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ، كتاب الإمارة، (٣/ ١٤٥٩) حديث رقم (١٨٢٩) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٣) سورة النساء : الآية (١٩).

وتظهر وسطية الإسلام ظهوراً ساطعاً عندما أراد أن يعالج نشوز الزوجة؛ فوضع الوسائل الكفيلة لرد الزوجة الناشر إلى طاعة زوجها، فأعطى الإسلام الزوج حق تأديب زوجته، بحكم قوامته عليها، وليس هذا معناه أن يطلق يده، ولسانه ليلحق الضرر بزوجته، بدعوى أنه يمارس حق التأديب بل إن الإسلام منحه هذا الحق بشروط وضوابط تحفظ للمرأة عزتها وكرامتها.

وكما عالج الإسلام نشوز الزوجة بما يضمن للأسرة استقرارها وأمنها عالج أيضا نشوز الزوج بما يحقق للزوجين الأمن والسكينة

ويسير الإسلام على وسطيته حتى إذا تفاقم الأمر بين الزوجين، ولم يكن هناك سبيل للإصلاح، نهى كلا من الزوجين أن يؤذى أحدهما الآخر، وأوجب عليهما أن يتذكرا ما كان بينهما من فضل، وشرع الطلاق؛ لأنه إذا لم يكن في مقدور الزوجين أن يعيشا في حب وسلام، وكانت الحياة بينهما مشحونة بالمتاعب والمصاعب، فإن العاقبة ستكون سيئة بالنسبة لهما، ولأولادهما .

وقفة مع سورة النساء:

سورة النساء سورة مدنية، وتسمى سورة النساء الكبرى، لتمييزها من سورة النساء الصغرى، وهي سورة الطلاق، وعدد آيات سورة النساء (١٧٦) آية، وعدد كلماتها (٣٧٤٥) كلمة[١].

وهى من السور التي تفيض بالأحكام التشريعية المتعلقة بتنظيم الأسرة وحقوق المرأة، ونظام الحكم، وتقويم العدالة وضبط حقيقتها، كما بينت سورة النساء أن الزواج شركة تعاونية أساسها المودة، والرحمة والوفاء والألفة[٢] ، وكان الشقاق بين الزوجين من المحاور التي اشتملت عليها السورة الكريمة، وعالجها القرآن الكريم بمنهج قائم على الوسطية والاعتدال دون إفراط، أو تفريط في حق من حقوق الزوجين ، مما يؤدى إلى تحقيق الأمن والاستقرار

---

(١) يراجع: الموسوعة القرآنية خصائص السور ، جعفر شرف الدين ،تحقيق: عبد العزيز بن عثمان التويجزي، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية ، بيروت ، ط١ ،١٤٢٠ ه ، (٢/ ١٠٧).

(٢) يراجع : من روائع القرآن ، د / محمّد سَعيد رَمضان البوطي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م ، ص: (٢١٨) بتصرف.

لأفراد الأسرة خاصة وللمجتمع عامة ومجموع الآيات التي عالجت الشقاق في السورة الآية (٣٤، ٣٥، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠) وسوف نتناولها بالتحليل بفضل الله عز وجل.

المبحث الأول

البلاغة القرآنية في معالجة نشوز الزوجة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ۚ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ۚ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ ﴾[1]

سبب نزول الآيات

نزلت هاتان الآيتان في بنت محمد بن سلمة وزوجها سعد بن الربيع أحد نقباء الأنصار، فإنه لطمها لطمة فنشزت عن فراشه، وذهبت إلى الرسول (ﷺ) وذكرت هذه الشكاية، وأنه لطمها، وأن أثر اللطمة باق في وجهها، فقال (ﷺ): «اقتصي منه، ثم قال لها اصبري حتى أنظر» فنزلت هذه الآية: الرجال قوامون على النساء ، فلما نزلت هذه الآية قال النبي (ﷺ): «أردنا أمرا وأراد الله أمرا والذي أراد الله خير»[2].

المعنى العام للآيتين الكريمتين:

تتضمن الآيتان الكريمتان معانى جليلة تضمن للأسرة المسلمة استقرارها وسعادتها ، فبينت ما للرجل من قوامة على المرأة حيث يقوم بأمرها والحفاظ عليها ، ويؤدبها ويأخذ على يدها بحق ما فضله الله به عليها من علم وعقل، وولاية ، ثم توضح لنا الآيات صفات المرأة الصالحة، وهى التي تحفظ حقوق الزوجية ، وترضى الله في زوجها وبيتها ، أما المرأة التي تظهر

---

(١) سورة النساء الآيتين (٣٤، ٣٥).

(٢) يراجع: التفسير الكبير، لأبى عبد الله محمد الرازي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٣- ١٤٢٠ هـ (١٠/ ٧٠).

عليها أمارات النشوز، والترفع على الزوج ، فعلى الزوج وعظها ومحاورتها باللين ، فإذا لم تستجب وتعود إلى صلاحها فعليه هجرها ، ثم تأديبها بالضرب غير المبرح حتى تعلن طاعتها والرجوع عن عصيانها، ثم تنتقل الآيات للمرحلة الأعلى من الشقاق ، وهو الشقاق في حالة ما إذا انتشر الخلاف بين الزوجين ولم يعلم من المتسبب فيه، واستعلنت الخصومة بين الزوجين، فعلى أولى الأمر في هذه الحالة بعث حكمين من أهليهما ، إن أرادا الصلح بينهما وفقهما الله تعالى، وإلا كان كل منهما وكيلا لصاحبه في الفرقة ، والله عليم بكل شئ خبير ببواطن الأمور وظواهرها.

التحليل البلاغي للآيتين الكريمتين:

جاءت الآيتان الكريمتان مناسبتان لما قبلهما حيث تحدثت الآيات السابقة عن نهى كل من الرجال والنساء عن تمنى ما فضل الله به بعضهم على بعض ، وأرشدهم إلى الاعتماد في أمر الرزق على كسبهم، وأمرهم أن يؤتوا الوارثين أنصبتهم، وفي هذه الأنصبة يستبين تفضيل الرجال على النساء، ذكر هنا أسباب هذا التفضيل(١)، فجاءت الآية بمثابة جواب لسؤال اقتضته الآية السابقة، كأنه قيل (لماذا الرجال فضلوا ؟) فكانت الآية (ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ)، لذا فصل بين الآيتين لما بينهما من قوة الارتباط ،كما يفصل بين السؤال والجواب ، والسر البلاغي هو شبه كمال الاتصال(٢)، وتكمن بلاغة هذا الفصل في(أنه لا يصار إليه إلا لجهات لطيفة، إما لتنبيه السامع على موقعه أو لإغنائه أن يسأل ، أو لئلا يسمع منه شيء ، أو لئلا ينقطع كلامك

---

(١) يراجع: تفسير المراغي، لأحمد بن مصطفي المراغي ، مطبعة مصطفي البابي الحلبي بمصر ، ط١، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ ، (٥/ ٢٨).

(٢) وكمال الاتصال هو: كون الجملة الثانية بمنزلة المتصلة بالجملة الأولى ؛ لكونها جوابا عن سؤال اقتضته الأولى؛ فتنزل منزلته، فتُفصَل الثانية عنها كما يفصل الجواب عن السؤال. يراجع: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة عبد المتعال الصعيدي ، الناشر: مكتبة الآداب، ط١٧،: ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م (٢/ ٢٩٣).

بكلامه، أو للقصد على تكثير المعنى بتقليل اللفظ، وهو تقدير السؤال وترك العاطف، أو غير ذلك مما ينخرط في هذا السلك) [1].

فجاء قول الله تعالى ((ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ)) جملة مستأنفة تقرر قوامة الرجل على المرأة، وهو استئناف بياني قصد منه الإفاضة في بيان أسباب تفضيل الرجال على النساء، والتمهيد لبيان أحكام تخص الأزواج والزوجات، وهذا قمة البلاغة من التمهيد والتدرج في طرح الحكم الشرعي، فكانت الجملة بمثابة المقدمة التي تشتمل على حكم شرعي كلي تتفرع عنه الأحكام التالية في الآيات الكريمات، وجاء الخطاب عاما لكل الرجال والنساء، حيث جاءت (ال) في الرجال والنساء للاستغراق وهو استغراق عرفي [2]، مبني على النظر إلى الحقيقة، ومعناه ثبوت الحكم للجنس على الجملة، فلا يقتضي اتصاف جميع الأفراد به، بل قد يخلو عنه بعض الأفراد، وقد يخلو عنه المتصف به في بعض الأحيان[3]، فالمراد من الرجال من كان من أفراد حقيقة الرجل، أي الصنف المعروف من النوع الإنساني، وهو صنف الذكور، وكذلك المراد من النساء صنف الإناث من النوع الإنساني، وجاءت الجملة بصيغة الخبر الذي أريد به الإنشاء، وهو الأمر، واستعمال الخبر في مثل هذا المقام أبلغ من إنشاء الأمر[4]، وذلك

---

(١) يراجع: مفتاح العلوم ،لأبي يعقوب يوسف السكاكي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٧ هـ، ١٩٨٧ م ص: (٢٥٢).

(٢) والاستغراق العرفي: ما يكون مدخول اللام مرادًا به كل فرد مما يتناول اللفظ بحسب العرف والعادة، كأن تقول: "امتثل الجند أمر الأمير"، فإن المراد جميع الأفراد التي يتناولها لفظ "الجند" عرفًا، أي جنود مملكته، لا جنود الدنيا، إذ ليس في وسع الأمير: أن يبسط نفوذه على جنود العالم أجمع عادة. يراجع: المنهاج الواضح للبلاغة حامد عوني، المكتبة الأزهرية للتراث (٢/ ٣٨).

(٣) يراجع: التحرير والتنوير لمحمد الطاهر التونسي، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤ هـ، (٥/ ٣٧).

(٤) يراجع: البلاغة العربية لعبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي، دار القلم ،دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦ م. (٢/ ٢٩٢) بتصرف.

لأنها أظهرت الحرص على وقوع المطلوب ، وأنه يجب على الرجل القيام بشؤون زوجته وحفظها، لأن التكفل بها أمر مسلم به ، فلا يحتاج لأمر صريح للقيام بهذا، كشأن الكثير من الأخبار الشرعية[1]، ويقول الزركشي (فإنما يجيء الأمر بلفظ الخبر الحاصل تحقيقا لثبوته، وأنه مما ينبغي أن يكون واقعا ولا بد وهذا هو المشهور)[2]، ولما كان الغرض المسوق له الكلام هو مدح الرجل ، وبيان قوامته على المرأة جيء بالجملة الاسمية التي(تفيد الثبوت لتفيد معه أيضاً الدوام والا ستمرار أي دوام قوامته وا ستمرارها ، وذلك مثل قوله تعالى:﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[3][4].

والقيم: السيد، وسائس الأمر ، وقيم المرأة: زوجها ، وقام الرجل على المرأة: صانها، وإنه لقوام عليها: مائن لها [5]، وجاءت (قوامون) صيغة مبالغة من القيام على الأمر بمعنى حفظه ورعايته، فالرجل قوّام على امرأته ، وهنا تعكس لنا الآية الكريمة وجوب حرص الرجل على زيادة الحفظ، والرعاية والتكفل بزوجته أي يقومون عليهن كما يقوم الولاة على الرعايا[6]؛ لأن شأن من يهتم بأمر أن يقوم لقضائه ، قال الرازي (القوام اسم لمن يكون مبالغا في القيام

---

(١) يراجع: التحرير والتنوير (٥/ ٣٨).

(٢) يراجع: البرهان في علوم القرآن ، لأبي عبد الله بدر الدين الزركشي تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧م ، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه (٣/ ٣٤٩).

(٣) سورة القلم: الآية (٤).

(٤) يراجع: علوم البلاغة البيان، المعاني، والبديع، أحمد مصطفي المراغي، ط١، دار الآفاق القاهرة ـ ١٤٢٠هـ،٢٠٠٠م ص(٥٦). بتصرف.

(٥) يراجع: المحكم والمحيط الأعظم ، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي ، ت عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، (٦/ ٥٩٢).

(٦) يراجع : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود، الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧ هـ(١/ ٥٠٥)

بالأمر، يقال: هذا قيم المرأة وقوامها للذي يقوم بأمرها ويهتم بحفظها) [1].

وقد اشتملت الجملة على عدد من التأكيدات المتمثلة في اسمية الجملة، وصيغة المبالغة، وذلك للإشارة إلى كامل الرئاسة والولاية، فالرجال لهم حق الأمر، والنهي، والتدبير والتأديب، وعليهم كامل المسؤولية في الحفظ والرعاية والصيانة، وهذا هو السر في مجيء الجملة اسمية، التي أفادت ثبوت هذه الحقوق له ، والواجبات عليه.

ولأن المجازات تكون أبلغ في تأدية المعاني من استعمال الحقائق ، جاءت الاستعارة التمثيلية في قول الله تعالى(ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ)، حيث شبهت هيئة الحريص المهتم بأمر نسائه بهيئة القائم لقضاء أمر يهمه، بجامع الاهتمام والحرص في كل ، واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه ، والقرينة حالية ؛ لأن الحريص على أمر نسائه لا يجب عليه القيام دائماً .

وقد ظهرت البلاغة القرآنية في هذا التصوير البارع الذى عبر عن الغرض المقصود مع الإيجاز، وبيَّنت لنا الآية ما يجب على الزوج تجاه زوجته في صورة حسية ، فكان لها الأثر البالغ في نفوس الأزواج ، وتنبيههم على ما يجب أن يكونوا عليه تجاه زوجاتهم من الحرص والقيام على مصالحهن.

والاستعارة التمثيلية أبلغ أنواع المجاز مفرداً أو مركباً، و إحدى الحجج على إعجازه (لأنها تضع أمام المخاطب بدلا من المشبه صورة جديدة تملك عليه مشاعره، وتذهله عما ينطوي تحتها من التشبيه، وعلى مقدار ما في تلك الصورة من الروعة، وسمو الخيال، تكون البلاغة في الاستعارة)[2]،ويجوز أن يكون مجازا مرسلا علاقته اللزومية ؛ لأن شأن الذي يهتم بالأمر،

---

(١) يراجع: التفسير الكبير (١٠/ ٧٠).

(٢) يراجع: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع لأحمد بن إبراهيم بن مصطفي الهاشمي ت: د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية ، بيروت ص: (٢٧٧).

ويعتني به أن يقف ليدير أمره، فأطلق على الاهتمام القيام بعلاقة اللزوم ، والقيام هنا مجازي لغرض الايجاز.

وهنا تظهر وسطية الإسلام ، حيث إن الخصائص التي منحها الله سبحانه وتعالى للرجل من قوة وشجاعة ورباطة جأش ، وتحمل للمشاق والصعاب تتناسب ، وهذه المهمة التي أوكلها الله إليه، تجعله أقدر على القوامة ، وإدارة الأسرة والسير بها إلى بر الأمان، فكان تفضيل الرجال على النساء من خلال ما عليهم من أعباء ، ومسؤوليات ، فصارت الزيادة في أحد الجانبين مقابلة بالزيادة من الجانب الآخر[1] ، أما المرأة فهي تفتقد تلك الخصائص الموجودة عند الرجل وهي غير مؤهلة للقوامة ؛ لأنها زودت بخصائص تتناسب ومهمتها في هذه الحياة ، وهي حضانة النشء وتربيته ومنحه ما يحتاجه من رقة وعطف ولين، وغير ذلك مما تتميز به المرأة عن الرجل، فالله سبحانه وتعالى قد خلق المرأة والرجل، وزودهما بالصفات الجسمية ، والنفسية التي تتناسب ومهمة كل واحد منهما، فلم يجنح إلى العنف أو الإلزام الإجباري بتكليف المرأة بما لا تستطيع القيام به ، ولكن مع حفظ حقوقها والأمر بحسن عشرتها.

ومن مظاهر وسطية الإسلام وعدله يأتي قوله تعالى: (بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ) ليبين لنا أسباب هذه القوامة التي قررها للرجل على زوجته ، وكانت لسببين، الأول وهبي، أي وهبه الله للرجال دون تكسب [2]، ويتمثل في قَوْلِهِ تعالى :(بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ) من العقل، والقوة والشجاعة ، والآخر كسبي، ويتمثل في قوله تعالى:(وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوالهم) وهو المهور والكسوة ، والإنفاق، والقيام برعايتهن وصيانتهن، وقد جاءت الجملتان في

---

(١) يراجع: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لإبراهيم بن عمر البقاعي ، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (٥/ ٢٧٠).

(٢) يراجع: نظم الدرر (٥/ ٢٦٩).

قالب صالح للمصدرية والموصولية، فالمصدرية مشعرة بأن القوامة سببها تفضيل من الله وإنفاق، وفيها جزالة لا توجد في قولنا (بتفضيل الله وبالإنفاق)، والموصولية يكون بمعنى (بالذي فضل الله) وهي مشعرة بأن سبب القوامة ما يعلمه الناس من فضل الرجال ، ومن إنفاقهم ليصلح الخطاب للفريقين: عالمهم وجاهلهم[1] ؛ ولأن التفضيل والإنفاق في جانب الرجل أمر محقق وواقع عبر عنه بالفعل الماضي(أنفقوا) أفضل تعبير ، فهو يأتي للتنبيه على تحقق الوقوع[2]، و(الباء) هنا للسببية، وللتأكيد على أن الاكتساب من حق الرجال، جاء الضمير في (أموالهم) يعود على الرجال، والضمير في(بَعْضَهُمْ) جاء على سبيل التغليب للرجال والنساء جميعا، يعني: إنما كانوا مسيطرين عليهن بسبب تفضيل الله بعضهم وهم (الرجال) على بعض وهم (النساء)، وفيه دليل على أن الولاية إنما تستحق بالفضل لا بالتغلب والاستطالة والقهر[3].

وقد جاء النظم الكريم في قوله تعالى :(بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ) غاية في الإيجاز والإعجاز؛ لإيثاره التعبير بهذه الصيغة دون غيرها، لأنه أوجز وأخصر، والتعبير بها، جاء لحكمة جليلة، وهي إفادة أن المرأة من الرجل، والرجل من المرأة بمنزلة الأعضاء من جسم الإنسان، فالرجل بمنزلة الرأس، والمرأة بمنزلة البدن، ولا ينبغي أن يتكبر عضو على عضو؛ لأن كل واحد يؤدي وظيفته في الحياة ، فالأذن لا تغني عن العين، واليد لا تغني عن القدم، ولا عار على الشخص أن يكون قلبه أفضل من معدته، ورأسه أشرف من يده، فالكل يؤدي دوره بانتظام، ولا غنى لواحد عن الآخر[4]، وهذه قمة الوسطية التي يدعو إليها ديننا

---

(١) يراجع: التحرير والتنوير (٥/ ٣٨) بتصرف.

(٢) يراجع: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع (١/ ٢١٤).

(٣) يراجع: فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف) ، لشرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي ، تحقيق: إياد محمد الغوج، القسم الدراسي: د. جميل بني عطا، الناشر: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم ، ط١، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣م،(٤/ ٥٢٧).

(٤) يراجع: روائع البيان تفسير آيات الأحكام ، محمد علي الصابوني ، مكتبة الغزالي - دمشق، مؤسسة مناهل

الحنيف، ثم للتعبير حكمة أخرىٰ وهي الإشـارة إلىٰ أن التفضـيل في الآية الكريمة تفضـيل الجنس علىٰ الجنس لا تفضيل الآحاد علىٰ الآحاد ، فقد يوجد من النساء من هي أقوىٰ عقلا ، وأكثر معرفة من بعض الرجال، وبهذا جاء النظم القرآني غاية في الإعجاز.

ثم يبين الله سبحانه وتعالىٰ شأن أزواج هؤلاء الرجال ، وهن فريقان: الأول يتمثل في قول الحق سبحانه وتعالىٰ:(فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ)، والفاء في قوله: تعالىٰ (فالصالحات) للفصيحة[1]، اقتضت الترتيب، أي إذا كان الرجال قوامين علىٰ النساء، فمن المهم تفصيل أحوال الأزواج منهن ومعاشرتهن أزواجهن وهو المقصود، فوصف الله تعالىٰ الصالحات منهن وصفا يفيد رضاه سبحانه وتعالىٰ، فهو في معنىٰ التشريع، أي ليكن صالحات، كما أنها تحث الزوج علىٰ القيام بدوره الذىٰ كلفه الله به من الرعاية والتكفل ؛ لأن ذلك يكون سببا في كونهن صالحات، فهو خبر أريد به الأمر، للمبالغة في الحمل علىٰ الامتثال لطاعة الزوج، فهو يخبر عنه كأنه حاصـل ، وقد فرغ منه ، لذا جاء لفظ (صالحات، قانتات، حافظات) بصيغة اسم الفاعل، للدلالة علىٰ ثبوت ، ودوام صفات الصلاح والقنوت والحفظ لديهن مع تجددها واستمرارها، ويقول الامام عبد القاهر (فأما وأنت تحدث عن هيئة ثابتة، وعن شيء قد اسـتقر، ولم يكن ثم تزايد وتجدد، فلا يصـلح فيه إلا الاسم)[2]

وتسـتمر الآية الكريمة في تقديم ما يجعل العلاقة الزوجية أكثر سـوية ، وتناغماً ، من خلال ذكر صـفات هذا الفريق الأول: من الزوجات حتىٰ يكن مثالاً يقتدىٰ به ، فهنَّ لسـن

العرفان – بيروت ، ط٣، ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ م ، (١/ ٤٦٧) بتصرف.

(١) الفاء الفصيحة هي الدالة علىٰ محذوف قبلها هو سبب لما بعدها ، وسميت فصيحة لإفصاحها عما قبلها، يراجع: الإيضاح في علوم البلاغة لجلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزوينىٰ ، تحقيق/ محمد عبد المنعم خفاجي ،ط٢، دار الجيل ، بيروت، (٣/ ١٩٢).

(٢) يراجع: دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني، ت/ محمود شاكر ط٣-١٩٩٢م، ص:(١٧٥) بتصرف.

صالحات فقط، بل هن قانتات ، والصلاح نقيض الفساد ، فالمرأة الصالحة إذا تزوجت صلح بها شـأن زوجها وأولادها ، ولأن القنوت: لزوم الطاعة مع الخضـوع،[1] وهنا تعنى المداومة على الطاعة، جاء التعبير بـــ(قانتات) ، ولم يأت بمطيعات للدلالة على أنهن مطيعات لله، ثم مطيعات لأزواجهن ، فالطاعة قد تكون متقطعة ، ولكن القنوت هو الانتهاء من طاعة والبداية في أخرى، ولم تقتصر الآية الكريمة على ذكر صـفة القنوت فقط، ولكن اقترن الصلاح بالقنوت، وهذا فيه دلالة على أنها إن رفضت طاعة زوجها نال ذلك من صلاحها، وإن أطاعت زوجها عزز ذلك من شـأن صـلاحها عند الله تعالى ، ثم تأتى جملة (حافظات للغيب) أي: حافظات أزواجهن عند غيبتهم ؛ لتكون نتيجة هذا الصـلاح ، والقنوت هو حفظهن لبيوتهن وأزواجهن ، والسر في ترادف هذه الصفات الثلاث دون عطف هو الدلالة على أنهن الجامعات لهذه الخصال الثلاث ، الصلاح ، والقنوت ، والحفظ، وكأنها صفة واحدة متماسـكة ، ولا تغاير بينها ، وهنا تظهر لنا بلاغة القرآن الكريم في وصـف هذا النوع من الزوجات، ومدحهن، فهن الجامعات للصـفات التي ينبغي أن تكون عليها الزوجة المسـلمة، ويؤكد على ذلك التنوين في الصفات ، ومجيئها على صيغة اسم الفاعل (وكثيراً ما يأتي اسم الفاعل في النص القرآني دالاً على ما يدل عليه الفعل المضارع من تجدد الحدوث وتكراره)[2]، وعلق الله الغيب بالحفظ فقال سبحانه وتعالى:(حافظات للغيب) على سبيل المجاز العقلي ؛ لأنه وقته ، فالغيب نفسه لا يحفظ ، ولكنه وقت للحفاظ تحفظ الزوجة زوجها في نفسه وماله وعرضـه وقت غيابه ، والعلاقة الزمانية ، ويرجع الحسـن في هذا المجاز إلى أنه (فيه من

---

(١)يراجع: المفردات في غريب القرآن لأبى القاسم المعروف بالراغب الأصفهاني ،تحقيق: صفوان عدنان الداودي ، الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت ، ط١ ، ١٤١٢ هـ ص:(٦٨٤).

(٢) يراجع: البلاغة العربية (١/ ٢١٨) بتصرف.

المبالغة، وقوة التأثير ما ليس في غيره) [1] ، وكأنه من شـدة حفظها لأمور زوجها تلبس الحفظ بالوقت نفسه ، و(الباء) في قوله تعالىٰ (بما حفظ الله) للملابسة، أي حفظا ملابسا لما حفظ الله لهن من مهورهن والنفقة عليهن، فهن حافظات لأوامر الله تعالىٰ، قائمات بما عليهن من حقوق، يحفظن أنفسـهن عن الفاحشـة ، وأموال أزواجهن عن التبذير في غيبة الرجال، فهن عفيفات، أمينات، فاضـلات ، والغيب هنا كناية عما يجب حفظه من النفس والمال ، وما يستحيا من إظهاره ، فيدخل فيه كل ما هو خاص بالأمور الزوجية التي لا يطلع عليها أحد ، ويقول صـاحب المنار (وجوب كتمان ما يكون بينهن وبين أزواجهن في الخلوة، ولا سـيما حديث الرفث، فما بالك بحفظ العرض، وعندي أن هذه العبارة هي أبلغ ما في القرآن من دقائق كنايات النزاهة،... فالانتقال السريع من ذكر ذلك الغيب الخفي إلىٰ ذكر الله الجلي، يصرف النفس عن التمادي في التفكر فيما يكون وراء الأستار من تلك الخفايا والأسرار، وتشغلها بمراقبته عز وجل) [2].

وجاء جناس الاشتقاق المغاير[3] بين (حافظات ، حفظ) ليؤكد معنىٰ الحفظ الذىٰ يتصف به هؤلاء الصالحات، من خلال التقارب الصوتي بين اللفظين، وتردد حروفه الذىٰ أفاد التوكيد علىٰ اتصافهم بهذه الصفة ، والذىٰ لا يتأتىٰ لولا وجود هذا الجناس ، وهو جارٍ مع طبيعة الأسلوب القرآني ، وجزالته، فجاء دون تكلف ، فكان موقعه جميلا خلع علىٰ النفوس بشاشة وراحة، كما نجد خلابة وسحراً ، وأسراً للسمع والفكر معاً من خلال إعادة نفس

---

(١) يراجع: البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية د/ محمد محمد أبو موسىٰ، دار الفكر العربي، القاهرة، (٤٥١).

(٢) يراجع: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) لمحمد رشيد القلموني الحسيني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م (٥/ ٥٨). بتصرف

(٣) يراجع: الاشتقاق المغاير: هو أن يجمع اللفظين الاشتقاق ، ويكون أحدهما اسم ، والآخر فعل كقوله تعالىٰ: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ} [الروم: ٤٣] بغية الإيضاح (٤/ ٦٤٧) بتصرف.

اللفظة، وفي هذا يقول الإمام عبد القاهر:(قد أعاد عليك اللفظة كأنه يخدعك عن الفائدة وقد أعطاها، ويوهمك أنه لم يزدك وقد أحسن الزيادة ووفاها)[1]، ويدلل على عدالة الإسلام، وكأن حفظهن لأزواجهن مرتبط بحفظ الله لهن، وامتداد له .

وجاء في الآية الكريمة حذف لدلالة ما قبله عليه، استغني بدلالة الظاهر من الكلام عليه من ذكره، ومعناه: فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله، فأحسِنوا إليهن وأصلحوا[2]، وهذا من بلاغة القرآن الكريم وإيجازه ، والدلالة على عدله، وحرصه على المسارعة في معالجة قضية خلاف الزوجين، فسارع بذكر أمر الناشز حتى يطرح العلاج المناسب، وقال: الإمام عبد القاهر عن فضل الحذف:(ما من اسم حذف في الحالة التي ينبغي أن يحذف فيها إلا وحذفه أحسن من ذكره وترى إضماره في النفس أولى وآنس من النطق به)[3]

ولما عرف بالصالحات، وهي الفئة الأولى لاستحقاق الإنفاق في اللوازم أتبعه حكم غيرهن، وهي الفئة الثانية وهن الناشزات من الزوجات فقال سبحانه وتعالى:

﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا﴾، وهنا يرسم لنا القرآن الكريم منهجاً حكيماً في الصلح بين الزوجين ، فإن بدا من الزوجة نشوز أو تمرد على الزوج، فعليه أن يقف منها موقف المربي الحكيم ، ويكون كالطبيب يصف العلاج الناجع، والناشز امرأة مريضة ، يصف القرآن الكريم لها الدواء المناسب لمرضها ، فجاء التعريف بالاسم الموصول (وَٱلَّٰتِي) وهو من أدق أنواع المعارف ، وأحدث في النفس تشوقاً وتشوفاً لمعرفة المراد به، وما هو الذي يجب فعله مع هذه الفئة من النساء؟ ، فتأتي صلته ، والتي تمثلت في

---

(١) يراجع: دلائل الإعجاز (٥٢٤).

(٢) يراجع: تفسير الطبري (٨/ ٢٩٧).

(٣) يراجع: دلائل الإعجاز(١٥٣).

طرق العلاج الثلاث ؛ لتجيب على هذا وترد هذا التشوق ، ويقول الإمام السكاكى:(وأما الحالة التي تقتضي كونه موصولاً ، فهي متى صح إحضاره في ذهن السامع بوساطة ذكر جملة معلومة الانتساب على مشار إليه واتصل بإحضاره بهذا الوجه غرض)[1]، ولقد خصصت جملة الصلة تلك الفئة من النساء بصفة تعلل الأمر الذى أمر الله به أزواجهن، ونشوز المرأة: الخروج عن الطاعة فيما فرض الله عليها من طاعة زوجها [2]، وأصل النشوز الارتفاع ، ومنه النشز اسم للموضع المرتفع من الأرض ، وعرف الأصفهاني نشوز الزوجة بأنه (بغضها لزوجها ، ورفع نفسها عن طاعته، وعينها عنه إلى غيره)[3]، والنشوز معنى حسى استعير للترفع ، وقد استعير (النشوز) للترفع والعصيان ، واشتق من النشوز (نشوزهن) بمعنى ترفعن وعصين على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية، وبذلك أظهرت الاستعارة (حسن التصوير، وانتقاء الألفاظ والإيجاز هو السحر الحلال، وقطب البلاغة الذى تدور عليه)[4]، وتظهر بلاغة القرآن الكريم في اختيار الألفاظ المناسبة للمعاني المرادة ، والخوف: توقع مكروه عن أمارة مظنونة، أو معلومة[5] ، فنرى الله سبحانه وتعالى قد قال (وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ) وقد جاء بالفعل تخافون، للإشعار بأنه يجب على الزوج البدء في علاج عيوب زوجته عندما تظهر أمارات هذه العيوب وعلاماتها، وألا يتركها حتى تستشرى وتشتد، بل عليه عندما يخشى النشوز أن يعالجه قبل أن يقع ، وأن يكون علاجه بطريقة حكيمة من شأنها

---

(١) يراجع: مفتاح العلوم ص:(١٨١).

(٢) يراجع: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ، لعلاء الدين، الكاساني الحنفي ، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٠٦هـ،١٩٨٦م (٢/ ٣٣٤).

(٣) يراجع:المفردات في غريب القرآن ص(٨٠٦) مادة نشز.

(٤) يراجع:الاستعارة نشأتها وتطورها في الأساليب العربية، د.محمد شيخون ، ط٢، ١٩٨٤، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة،ص: (١١٠).

(٥) يراجع: المفردات في غريب القرآن ص:(٣٠٣). مادة خوف.

أن تقنع وتفيد، ومن خلال الدلالة اللفظية للفعل(تخافون) يظهر لنا مدى حرص الإسلام على اختيار الوقت المناسب لمعالجة الشقاق قبل أن يستفحل، ويتفاقم الخلاف، فالوقت المستحب للوعظ عند خوف النشوز وإن لم يقع والخوف بمعنى العلم؛ لأن خوف الشيء إنما يكون للعلم بوقوعه ، فجاز أن يوضع مكان يعلم يخاف، فنرى بعض المفسرين فسر الخوف، بالعلم أي واللاتي تعلمون نشوزهن فعظوهن، وبعضهم قدر مضافاً في الكلام أي: واللاتي تخافون دوام نشوزهن، فعظوهن واهجروهن في المضاجع، وبعضهم قدر معطوفا محذوفاً أي: واللاتي تخافون نشوزهن ونشزن، فعظوهن واهجروهن في المضاجع[1].

وقد راعى القرآن الكريم التوازن والانسجام بين الأصوات عند توزيعها في المفردات ، ولكنه يخرج أحيانا عن هذا النمط لما يستوجبه السياق لمقتضيات يتطلبها المعنى ، ومن ذلك كلمة (نشوز) التي بين أيدينا، وهي من الألفاظ التي تحس حال النطق بها بشيء من الصعوبة ، وأصل النشوز الارتفاع، ومنه النشز اسم للموضع المرتفع من الأرض ، ومنه نشوز المرأة لارتفاعها عن طاعة الزوج [2]، فمعنى المفردة في الآيات هي الارتفاع إذ أن المرأة ترتفع فتستعصي على زوجها، والرجل يرتفع فيتجافى عنها ويؤذيها[3]، وأصوات المفردة القرآنية متوازية ومنسجمة مع المعنى ، إذ اجتمع صوت الغنة في النون والتفشي في (الشين) والصفير في (الزاى)[4] ليبرهن على اختلاف معنى الارتفاع بالقول أو بالفعل ، وهنا قد شكل التلاؤم الصوتي بين أصوات المفردة ضرباً من

---

(١) يراجع: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، د/ محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة ، القاهرة، ط١، يناير ١٩٩٧، (٣/ ١٤٠).

(٢) يراجع: تفسير الماوردي = النكت والعيون ، لأبي الحسن علي بن محمد ، الشهير بالماوردي، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت ، لبنان، (١/ ٣٣٣).

(٣) يراجع: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، تفسير البيضاوي ، لناصر الدين البيضاوي ، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، ط١ ، ١٤١٨ هـ ، (٢/ ١٠).

(٤) يراجع: الخصائص.(٢/ ١٦٥).

التناغم الذى جعل المفردة توحى بدلالتها من خلال الأصوات المكونة لها ، فهذا الجرس القوى للمفردة ، والصعوبة الحاصلة في التلفظ يوحى بصعوبة الموقف في الآيات القرآنية عند استعلاء الزوجة على زوجها مما يؤدى إلى هدم الكيان الأسرى الذى يدعو الإسلام إلى إقامته والحفاظ على ديمومته .

وتبدأ الآيات الكريمة بتقديم طرق العلاج لنشوز الزوجة فيقول جل شأنه:(فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ) و تأتى(الفاء) التي تفيد التعقيب، فالأمر ليس فيه تراخ بعد ظهور علامات النشوز والعصيان ، فعلى الأزواج المسارعة بتقديم النصح للزوجة وتذكيرها بما أوجبه الله عليها ، فبدأ بالوعظ القائم على النصح والإرشاد واللين، وتذكيرهن بما أوجب الله عليهن من الطاعة وحسن العشرة للأزواج ، وهذا هو العلاج الأول، وهذا يتماشى مع منهج الإسلام في الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، ولا سيما بين الزوجين ، وهما نواتا المجتمع وهيكل الأسرة المسلمة ، ولما كان الإيقاع الصوتي يلعب دوراً مهماً في الدلالة على المعنى جاءت(العين) في فعل الوعظ ، ومخرجها من أقصى الحلق من أنصع الحروف جرسا وألذها سماعا[1]، تبعها(الظاء) وما تحمله كل منهما من صفات الجهر[2]، وهذا يحاكى ما يجب على الزوج من بذل أقصى ما في وسعه في وعظ زوجته، وتذكيرها بعواقب نشوزها ، و ما يجب أن يكون عليه الوعظ من معانى الوضوح وقوة السمع وتذكير الزوجة بالبقاء على الحياة الزوجية ، لأن عدم استجابة الزوجة لهذا العلاج يترتب عليه اتباع الطريق الثاني ، وهو أشد وقعا منه، ثم يتصعد العلاج في حالة عدم الاستجابة للعلاج الأول ، فيأتي القرآن بالأمر الثاني (وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ)

---

(١) يراجع: لسان العرب(٨/ ٣).

(٢) يراجع: السابق(٧/ ٤٣٦).

والهجر والهجران: مفارقة الإنسان غيره، إما بالبدن، أو باللسان، أو بالقلب[1]، وهي الوسيلة الثانية من وسائل التأديب ، قال ابن عباس: الهجر في المضاجع هو أن يضاجعها ويوليها ظهره ولا يجامعها. وقيل: أن يعزل فراشه عن فراشها[2]،والهجر هنا كناية عن ترك الجماع ، وعن بلاغة الكناية يقول الإمام عبد القاهر (وكان من المركوز في الطباع، والراسخ في غرائز العقول، أنه متى أريد الدلالة على معنى ، فترك أن يصرح به، ويذكر باللفظ الذي هو له في اللغة، وعمد إلى معنى آخر فأشير به إليه، وجعل دليلا عليه كان للكلام بذلك حسن ومزية لا يكونان إذا لم يصنع ذلك، وذكر بلفظه صريحا)[3]، ويظهر عدل الإسلام وو سطيته في حر صه على القضاء على الشقاق بطريقة بعيدة عن الشدة حتى يعود كل منهما بدون رواسب نفسية تؤثر على الحياة الزوجية (وقد جرت العادة بأن الاجتماع في المضجع يهيج شعور الزوجية ، فتسكن نفس كل من الزوجين إلى الآخر، ويزول ما كان في نفو سهما من اضطراب أثارته الحوادث قبل ذلك، فإذا هو فعل ذلك دعاها هذا إلى السؤال عن أسباب الهجر والهبوط بها من نشز المخالفة إلى مستوى الموافقة ، فإن لم يفد ذلك فله أن يجرب الو سائل الأخرى)[4]، وفي التقييد بالجار والمجرور إ شارة إلى أن الهجر قد يكون في الفراش دون الكلام ، بالإضافة إلى ما تفيده (في) من الوعائية[5] ، وكأن المضجع هو وعاء الهجر، فلا يتعدى لغيره ، و هذا القيد يظهر عظمة ديننا الحنيف من خلال مراعاة الجانب الشعوري

---

(١) يراجع:المفردات في غريب القرآن ص:(٨٣٣) مادة هجر.

(٢) يراجع: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ، لعبد الله بن عباس – رضي الله عنهما ، جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز أبادى، دار الكتب العلمية، لبنان ص(٦٩).

(٣) يراجع: دلائل الإعجاز، ص:(٤٤٤).

(٤) يراجع: تفسير المراغي (٥/ ٢٨، ٢٩).

(٥) يراجع :حروف المعانى وبلاغة النص، د/ صلاح الدين محمد أحمد غراب ، بحث بلاغى مقدم إلى مؤتمر كلية اللغة العربية بالزقازيق ، ٢٠٠٩م ، ص:(١٢).

للأبناء ؛ حتى لا ينعكس ذلك سلباً عليهم ، والعلاج بالهجر جاء على سبيل التدرج من الضعيف ، وهو الوعظ إلى القوى وهو الهجر ، وهذا فيه إشارة إلى أنه إذا حصل الغرض بالطريق الأخف وجب الاكتفاء به، ثم تنتقل الآية الكريمة لطرح العلاج الثالث إذا لم يجد العلاجين الأولين وهما الوعظ ، والهجر، فيقول سبحانه وتعالى:(وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ) والضرب المراد في الآية الكريمة هو الضرب غير المبرح ، أي غير مؤذٍ إيذاء شديداً كالضرب الخفيف باليد على الكتف ثلاث مرات ، أو بالسواك أو بعود خفيف؛ لأن المقصود منه الصلاح لا غير[1]، وقد وضحه الرسول(ﷺ) بقوله: «فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ»[2]، واختيار هذه الصيغ من الأمر ، وتواليها قد أحدث قوة في السبك وجمالاً في الآية فضلا عن الإيقاع الناشئ عن هذا التكرار ، والذي يتناسب ودلالات الألفاظ ، فنلاحظ التناسق في توزيع هذه الأوامر، حيث جاءت صيغ الأمر متتابعة في الآية الكريمة ، ولكن مع اختلاف معانيها فالفعل(فَعِظُوهُنَّ) خرج لمعنى النصح ، و جاء الفعلان (وَٱهۡجُرُوهُنَّ , وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ) لمعنى الإباحة ، فالزوج أذن له في الهجر والضرب ، مع عدم الحرج في الترك إذا لم يضطر لذلك وارتدعت الزوجة من المرحلة الأولى وهي الوعظ.

وقد عززت بالضمير المتصل(هنَّ)، وما فيه من التشديد أوحى بضرورة الالتزام بهذه الأوامر كل في وقته، وهذا يتناسب مع قوة المعنى، فالأسلوب القرآني يرشد الزوج للقيام بالمحاولات والطرق المتعددة بتعدد الصيغ حرصاً منه على التقويم والمعالجة قبل تفاقم الخلاف.

وهنا تظهر وسطية الإسلام في أرقى معانيها والتدرج في المعالجة تبعاً لتصعيد حالة النشوز حيث بدأت الآية بطرح العلاج نفسياً من خلال محاورات وعظيه حفاظاً على بقاء الحياة

---

(١) يراجع: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، للدكتور: وهبة بن مصطفي الزحيلي ،دار الفكر المعاصر – دمشق، ط٢ ، ١٤١٨هـ (٥/ ٥٦).

(٢) يراجع: صحيح مسلم ،باب حجة النبي (ص) ، كتاب الحج ، (٢/ ٨٨٦) حديث رقم (١٢١٨).

الزوجية، ثم الهجر ويكون فيه إنذار للمرأة ، ثم تأتي المرحلة الثالثة ، والتي فيها ترقٍ مع ما يناسب تصعيد حالة النشوز، فيكون العلاج الذي يتمثل في العلاج البدني، وهو الضرب المقيد بشروط فيكون غير مبرح، وهي المرحلة الأخيرة في المقاومة ، فبعد أن أعلن السمع عصيانه من خلال عدم الاستجابة للوعظ، والعقل والقلب أعلنا عصيانهما من خلال عدم الاستجابة للهجر، جاء الإسلام ليعلن عن طريق أسمع وأوقع، وهو حسي يتمثل في تنبيه البدن بالضرب لعله يكون فيه الردع، وقد ظهرت سماحة الإسلام وعدالته في كل مرحلة من مراحل العلاج المتمثلة في الوعظ باللين ، والهجر في المضجع، والضرب غير المبرح، وهذا فيه إشارة إلى وسطية الإسلام وعدالته حتى في حال الخلاف، فالضرب الذي أذن فيه الإسلام وشرعه هو الضرب الخفيف كالضرب بالسواك ونحوه، إضافة إلى أن التأديب بالضرب ليس فرضاً ملزما، ولكنه أمر مباح، والأفضل تركه، وظاهر اللفظ يدل على الترتيب، والآية وردت على سبيل التدرج من الضعيف إلى القوي إلى الأقوى، وذلك جار مجرى التصريح بوجوب الترتيب، فإذا حصل الغرض بالطريق الأخف وجب الاكتفاء به، ولم يجز الإقدام على الطريق الأشد[1] ، ثم يأتي النظم القرآني ليبين لنا مظهرا آخر من وسطية ديننا الحنيف من خلال قوله تعالى:(فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا) أي إذا تحققت طاعتهن حينئذ فلا تطلبوا سبيلا آخر إلى التعدي عليهن ولا تتجاوزوا ذلك إلى غيره[2]، وجاء هذا الأمر في غاية الإيجاز متمثلا في صيغة الشرط (وفي الجمل الشرطية إيجاز لا يوجد في غيرها لو أريد التعبير عن مضمونها بجمل غير شرطية)[3].

وهذا يدل على أنه إذا تحققت الطاعة من قبل الزوجة، فلا سبيل للتعنت والبغي، والبغي:

---

(١) يراجع: روائع البيان تفسير آيات الأحكام (١/ ٤٧٠).

(٢) يراجع: التفسير الكبير (١٠/ ٧٣).

(٣) يراجع: البلاغة العربية (١/ ٢٢٠).

هو طلب تجاوز الاقتصـاد فيما يتحرىٰ، تجاوزه أم لم يتجاوزه، يقال: بغيت الشيء: إذا طلبت أكثر ما يجب[1]، والتعنت في الإيذاء هو البغي المنهىٰ عنه نصاً ، ولما كانت الطاعة الكاملة من الزوجات الناشزات مظنة الشك ونادرة الوقوع في هذا الوقت من الخلاف، عبر القرآن الكريم بأداة الشرط (إن) التي تدل علىٰ الأمر غير المقطوع بوقوعه، دون (إذا) فكان التعبير بـ(إن) تصويرا دقيقاً لواقعهن، والأصل في(إن) أن تدخل علىٰ المضارع، لاختصاصها بالشرط غير المجزوم بوقوعه، ولكنه عدل عن المضارع إلىٰ الماضي في قوله تعالىٰ: (أَطَعْنَكُمْ) ، وذلك إبراز غير الحاصل الذىٰ يحدث في المستقبل في معرض الحاصل الذىٰ وقع في الماضي ، وتحققنا من وقوعه ، وكأن الطاعة حاصلة وواقعة ، وذلك لإظهار الرغبة القوية والتفاؤل في تحقق هذه الطاعة ، وأسلوب الشرط يعد نغمة صاعدة إشعاراً بتعليق فعل الشرط بجوابه، وطلبه إياه، لإكمال المعنىٰ ، والمتأمل للفظة(أطعنكم) يجدها قد جسدت معناها من خلال حروفها ، فنرىٰ (الهمزة) ، وهو صوت يخرج من أقصىٰ الحلق[2]، وما فيها من الجهارة التي تأتىٰ من انفجار الهواء، وكأن هذا الانفجار القوىٰ إعلان للرجل بأن يهيئ ذهنه لما يلقىٰ إليه من نهىٰ عن التعنت بالإيذاء، كما أن صفة التوسط فيها تحفظ جهارته وقوته السمعية ليهيئ أيضاً سمعه، ويليه (الطاء) ، وهو حرف قوىٰ شديد ، فمجرىٰ الهواء ينغلق انغلاقا تاماً عند النطق به[3] وتسمعه يحكىٰ بقوة صوتاً مدوياً يرسم بجرسه إنذاراً يقرع به سمع الرجال في إنهاء ما كانوا عليه من الهجر والضرب ، وتأتىٰ جملة «لا تبغوا... » في محل جزم جواب الشرط مقترنة بالفاء[4]، ليكتمل بها المعنىٰ ، فالطاعة من الزوجة تكون سببا في عدم التعنت في إيذائها،

---

(١) يراجع: المفردات في غريب القرآن ص: (١٣٦) مادة (بغىٰ).

(٢) يراجع: الخصائص لأبىٰ الفتح عثمان بن جني الموصلي الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط٤ (١/ ١٤٠).

(٣) يراجع: أسرار الحروف ، أحمد زرقة ، دار الحصاد ، دمشق ، ط١ ،١٩٩٣م، ص:(٩١).

(٤) يراجع: الجدول في إعراب القرآن الكريم، محمود صافي دار الرشيد، دمشق ، مؤسسة الإيمان، بيروت

فكلاهما متعلق بالآخر ، وهذا يؤكد على التحذير من البطش بالزوجة إذا أعلنت طاعتها ، واستفيد من صيغة النهي التكليف الإلزامي بالترك وعدم الفعل، ويحمل في طياته معانى التحذير ، بالإضافة إلى أن النهى عن البغي والتعنت جاء بـ(لا) وما فيها من استطالة في النطق يحاكى استطالة المنهى عنه، ولما كان البغي شدة الطلب لما ليس بحق بالتغليب[1]، ففيه قصد الفساد، وطلب الأذى والظلم ؛جاء التعبير به دون غيره من الأفعال التي تحمل المعنى نفسه ، وعضد هذا المعنى حرف الجر(على) الذى يفيد الاستعلاء، واتصاله بالضمير(هن) المتعلق بالفعل (تبغوا) ، وتظهر دقة القرآن الكريم في تصوير التعنت بالعقاب المنهى عنه من خلال العدول عن تعدية الفعل بنفسه، بأن يقال: لا تبغوا سبيلا إلى تعديته بحرف الا ستعلاء(على)، لتكتمل الصورة التي رسمها القرآن الكريم من نهى الرجال وتحذيرهم من اتخاذ أي طريق للاستعلاء به عليهن في الإيذاء ، وحرف الجر (على) موضوع للاستعلاء الحسى، ومدخولها ليس كذلك، فتخرج على المجاز، فشبه حال الرجل وهو يتخذ طريقاً للا ستعلاء والتعنت على المرأة بحال من اعتلى شيء وركبه، وتمكن من أزمته، بجامع التمكن والا ستقرار، ثم ا ستعرت حالة المشبه به لحالة المشبه، ودل عليها بحرف الا ستعلاء (على) على سبيل الا ستعارة التبعية التمثيلية ، ويأتي النهى الرباني للزوج بألا يتخذ أي سبب ليتمكن به من ايذاء زوجته ، و يمكن القول بأنه شبه الطريق الذى يتخذه الرجل للتعنت بالمستعلي عليه الحسى، ثم ا ستعيرت (على) تبعاً لهذا التشبيه من جزئي المشبه به للمشبه على سبيل الا ستعارة التصريحية التبعية، وجاءت كلمة (سبيلا) نكرة لتعضد هذا المعنى وتؤكد على النهى، ولتفيد التقليل والتحقير ، أي: لا

ط٤، ١٤١٨ هـ، (٥/ ٢٩).

(١) يراجع: الفروق اللغوية لأبى هلال الحسن بن عبد الله العسكري، ت/ محمد إبراهيم سليم ، دار القلم والثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر، ص:(٢٣٢).

تتخذوا أي طريق لإيذائهن حتى ولو كان يسيراً.

وجاءت المقابلة بين النشوز مع طرق علاجه، وبين الطاعة مع النهى عن البغي في هذه الآية الكريمة؛ لتضع لنا القاعدة السليمة التي يتعلم منها الأزواج كيفية التعامل مع زوجاتهم في كل الأوضاع، كما جاءت المقابلة بمجموعها تقابل قول الله تعالى:(فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ) وهى مقابلة اثنين باثنين ؛ لاستيفاء أخلاق النساء في المجتمع المسلم مع تغليب صفة الصلاح فيهن ، وجعل صورة النشوز محدودة معالجة.

ونلاحظ حسن التقسيم في الآية الكريمة حيث قسم المولى عز وجل النساء إلى فريقين : الفريق الأول هن الصالحات القانتات الحافظات ، وأشار القرآن إلى تكريمهن من خلال تمييزهن عما يليهن، وتعدد صفاتهن العظيمة، بالإضافة إلى السكوت عن كيفية التعامل معهن، مما يعطى مدى أوسع في تكريمهن ، لأن السكوت في كثير من الأحيان أبلغ وأدق من الكلام ، أما الفريق الثاني ، وهن الزوجات الناشزات فلم يفصل الحديث عنهن غير (وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ) وهن على نقيض الفريق الأول لذلك لم يعدد لهن صفات سيئة تقابل الصفات الحسنة التي ذكرت في جانب الفريق الأول، لذلك اقتضت حكمة التشريع سرعة طرح العلاج لهذا الفريق، وذكر مراحل علاجه ، ثم جاء التقسيم أيضاً في مراحل معالجة النشوز، وعظ، فهجر، فضرب، وهذا كله حسن تقسيم بعد التفريق الرائع الذى قسم فيه الإسلام الزوجات إلى قسمين لا ثالث لهما، كما نرى أن هذا التقسيم بين لنا الفرق بين النوعين من الزوجات، فهناك صورة الزوجة المطيعة الصالحة المداومة على إرضاء ربها وزوجها، والزوجة الناشز والتي ينعكس نشوزها على علاقتها بزوجها وبيتها من اضطراب وقلق، فتظهر المفارقة بين السعادة والشقاء، ولا يخفي ما لهذا الأسلوب التقابلي من أثر قوى في نفس السامع والقارئ للآيتين الكريمتين ، فمن ناحية اللفظ أنتج لنا النص نوعين من الإيقاع، الأول: هادئ يتناسب وحال الزوجة الصالحة ، وما يعم منزلها من الهدوء والسكينة، والثاني غليظ يتناسب وحال المرأة الناشز ، وما يعم منزلها من

عدم استقرار ، ومن ثم (تكون المقابلة، وما يشبه النقيض ليزداد المعنى بها وضوحاً)[1]، والله أعلم وأحكم.

ومن وجوه إعجاز القرآن الكريم، وإيجازه الفواصل ، والتي عرفها الباقلاني بأنها(حروف متشاكلة في المقاطع، يقع بها إفهام المعاني ، وفيها بلاغة ،...والفواصل تابعة للمعاني)[2] ، ومن الخصائص الأسلوبية الرائعة في الآية الكريمة، والتي تؤكد معنى العدل والإنصاف الذى تدعو إليهما شريعتنا الغراء مجيء الفاصلة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾ بهذا التركيب البديع جملة اسمية والمسند إليه لفظ الجلالة ، ودخلت عليه (كان) الناسخة مقترنة بـ(إن) المؤكدة وهذا غاية التأكيد، بالإضافة إلى التعظيم الذى يحمله لفظ الجلالة مما جعل المعاني التي تحملها الآية الكريمة مؤكدة، فضلاً عن صيغة المبالغة التي جاءت عليها هاتان الصفتان ، وتذييل الآية الكريمة بهاتين الصفتين تتفقان ومعنى الآية الكريمة ، حيث يقول الإمام الرازي (وذكر هاتين الصفتين في هذا الموضع في غاية الحسن، وبيانه من وجوه): منها:(أن المقصود منه تهديد الأزواج على ظلم النساء، والمعنى أنهن إن ضعفن عن دفع ظلمكم ، فالله سبحانه علي قاهر كبير قادر ينتصف لهن منكم، فلا تغتروا بكونكم أكبر درجة منهن، والثاني: لا تبغوا عليهن إذا أطعنكم لعلو أيديكم، فإن الله أعلى منكم وأكبر من كل شيء، والثالث: أنه مع علوه وكبريائه، لا يؤاخذ العاصي إذا تاب، بل يغفر له ، فإذا تابت المرأة عن نشوزها ، فأنتم أولى بأن تقبلوا توبتها وتتركوا معاقبتها)[3]، فضلاً عن أنه تعليل للنهى عن البغي ، وفيه تنبيه على ضرورة خفض الجناح وتواضع الزوج إذا أعلنت

---

(١) يراجع: البناء الفني للصورة الأدبية عند ابن الرومي ، د/ على على صبح ، مطبعة الأمانة ، ط١، ١٩٧٦م، (٣٣٢) بتصرف.

(٢) يراجع: إعجاز القرآن ، لأبى بكر الباقلاني، تحقيق: السيد أحمد صقر ، دار المعارف مصر ، ط٥، ١٩٩٧م،ص:(٢٧٠)بتصرف .

(٣) يراجع: تفسير الرازي ، التفسير الكبير (١٠/ ٧٣) بتصرف.

الزوجة طاعتها، وبذلك جاءت الفاصلة مناسبة للمعاني التي اشتملت عليها الآية الكريمة.

وبعد أن بينت لنا الآية الكريمة السابقة دور القرآن الكريم في معالجته الشقاق بين الزوجين في حالة ما إذا كان النشوز من جانب الزوجة ، يأتي البيان الحكيم ، ومنهج الله القويم ليعالج لنا جانباً آخر من جوانب الشقاق ، وهو الخلاف الحاصل بين الزوجين ، ولم يعلم من المتسبب فيه، وخيف أن يحول الشقاق دون إقامة حدود الله تعالى، واستعلنت الخصومة بينهما، ففي هذه الحالة لابد من اتخاذ إجراء آخر يأتي من خارج الأسرة ؛ لأن الإصلاح من داخلها أصبح غير مثمر، فيقول الله تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴾ ، وهذه الآية الكريمة معطوفة على الآية السابقة، فكلاهما تتحدثان عن طرق علاج الشقاق بين الزوجين، سواء كان الإعراض من جهة الزوجة، أو من كليهما ، وهنا خرج الإصلاح من محيط الأسرة الصغيرة إلى محيط الأسرة الكبيرة، وهذا دليل على قدسية هذا الرباط ، وعدل الإسلام ووسطيته ، وتدرجه في معالجة هذه القضية الخطيرة، فبدأ العلاج من الزوج لزوجته ، ثم من العائلة لكليهما ، والشقاق: المخالفة، وهو الخلاف والعداوة ، وهو مأخوذ من الشق بمعنى الجانب ؛ لأن كلاً من المتخالفين يكون في شق غير شق الآخر، بسبب العداوة والمباينة[1] ، فأضيف الشقاق وهو مصدر إلى الظرف على طريق الاتساع[2]، فأضيف الشقاق إلى غير ما حقه أن يضاف إليه، وهو مجاز عقلي لعلاقة الزمانية، من إضافة المصدر إلى غير ماحقه أن يضاف إليه فكان مجازاً ؛ لأنه جاز موضوعه الأصلي، وكأن الشقاق الذى بين الزوجين تلبس بالزمان نفسه ، ولم يقتصر عليهما ، وهذا تصوير لما وصل بينهما من شقاق بدت مظاهره حساً يرى، وسر جمال هذا التعبير فيه زيادة فائدة، وهى دلالة الكلام على أن الشقاق كان متصلاً بينهما غير منقطع ، ويقول الإمام الزمخشري (شقاقا بينهما، فأضيف الشقاق إلى الظرف على طريق الاتساع، كقوله: (بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ) وأصله: بل مكر في

---

(١) يراجع: روائع البيان تفسير آيات الأحكام (١/ ٤٦٤).

(٢) المجاز العقلي، وهو إضافة الشيء إلى ما له تلبس، وتسمى نسبة إضافية يراجع: شروح التلخيص، ط٤، دار الهادي، بيروت، لبنان، مواهب الفتاح، أبو يعقوب المغربي (١/ ٢٤١).

الليل والنهار، أو على أن جعل البين مشاقا والليل والنهار ماكرين) [1]، كما جاءت حروف كلمة الشقاق معبرة أبلغ تعبير عن معناها مصورة صعوبة هذا الأمر بين الزوجين، وكل من ينطق بها، فـ(الشين) وما فيها من التفشي والاسترخاء فيجرى فيها الصوت، ويتسع مداه [2]، تحاكى تفشى الخلافات بين الزوجين ، وتمددها لخارج البيت وانتشارها، ثم تأتى (القاف) وما فيها من الشدة والجهر [3]، وهى من أثقل الحروف نطقاً ، إذ أنه يستدعى جهاز الكلام كله (الحلق ، اللسان، والشفتين) لتشترك جميعاً في حملها ، وإخراجها من الشفتين[4]، وكأن تكرار هذا الحرف يصور صعوبة الموقف، الأمر الذى يستوجب تدخل أولى الأمر لمعالجته على وجه السرعة، وإخراج الزوجين من هذا الخلاف ، وانحباس جريان الصوت عند النطق به يحاكى الضيق الذى يمر به الطرفان أثناء هذا الخلاف ، وكما أن من صفاته الاستعلاء والانفتاح حيث يرتفع جزء كبير من اللسان إلى الحنك الأعلى، فهو افتراق وتباعد وتجافي، وكأنه يحاكى ترفع الزوجين كلاً منهما على الآخر ، وتجافيهما في هذا الموقف، كما تسمع منها شق الأجسام، وقلعها دفعة واحدة ، فكأنه بالشقاق تشق الأسرة وتتشتت ، ثم يأتي المد بين الانتشار الذى يحاكيه حرف(الشين) وصعوبة الخلاف الذى تحاكيه (القاف)، فالمد وما فيه من استطالة في النطق جاء ليعبر عن طول الشقاق وتمدده بين الزوجين ، فالدلالة الصوتية لهذا اللفظ قد دلت على معناه أبلغ تعبير، وبذلك نجد أن الأصوات في لغة القرآن الكريم وصلت إلى حد الإعجاز، وأن الحروف عبارة عن ريشات مصورة للمعاني ، وبذلك ترسم الكلمة المعنى حركةً وصوتاً، ليتسق مع المراد منها، والمخاطب هنا ولاة الأمور ، وجاء الأمر في قوله تعالى: (فَٱبۡعَثُواْ) للوجوب ليدل على ضرورة التدخل السريع للصلح ، ويظهر لنا المنهج الإسلامي الحكيم من خلال الإشارة إلى استحباب أن يكون الحكمين من أهل الزوجين ، وذلك زيادة في الحرص والحفاظ على كيان الأسرة من الانهيار والدقة

---

(١) يراجع: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (١/ ٥٠٨).

(٢) يراجع: الخصائص (٢/ ١٦٥).

(٣) يراجع: لسان العرب (١٠/ ٣).

(٤) يراجع: من أسرار التعبير في القرآن الكريم "الحروف " د/ عبدالفتاح لاشين ، ط١، ١٤٣٥هـ ، ٢٠١٤م، دار الفكر العربي ص:(٣٠).

في المعالجة ، فلم يأت لفظ القرآن الكريم مقتصراً على(ابعثوا حكمين) ولكنه جاء بالإطناب في قوله تعالى:(حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ) وذلك من مقتضيات توفر أسباب الصلح بين الزوجين، ولم شمل الأسرة وفضَّ الخلاف بين الزوج وزوجته ، والتقييد بالجار والمجرور في قول الله تعالى:(مِّنْ أَهْلِهِۦ ,مِّنْ أَهْلِهَآ) يفيد الاستحباب أن يكون الحكمين من أهليهما وقد أشار الإمام الزمخشري في كشافه إلى هذا فقال: «وإنما كان الحكمان من أهلهما، لأن الأقارب أعرف ببواطن الأحوال، وأطلب للصلاح، وإليهم تسكن نفوس الزوجين، ويبرز إليهم ما في ضمائرهما من الحب والبغض، وإرادة الصحبة والفرقة، وموجبات ذلك ومقتضياته، وما يزويانه عن الأجانب، ولا يحبان أن يطلعوا عليه»(١)، ويأتي التعريف بالإضافة في (أهله ، أهلها) لغرض الاختصار ، وهذه الإضافة أغنت عن التفصيل المطلوب من هذه الجماعة ، أو تلك، والقصد منها طرح قضية الخلاف بعيدا عن المشاحنات والعواطف لعلها تحل، وتنتهي بسلام ، ويقول الإمام عبد القاهر عن السر البلاغي في هذا(وذلك أن من شأن الإضافة الاختصاص، فهي تتناول الشيء من الجهة التي تختص منها بالمضاف إليه)(٢)، والضمير في قوله(يريدا) يعود على الحكمين أي (متى صدقت الإرادة وأخلص الحكمان النية والنصح لوجه الله، فالله يوفقهما بمهمتهما ويهدي إلى الخير، ويحقق الوفاق والتفاهم والعودة إلى التواد والتراحم والألفة بين الزوجين ويبارك وساطتهما)(٣) ، وهذا يعكس حرص الإسلام على الصلح بين الزوجين، فبين ما يجب أن يكون عليه الحكمان من إخلاص النية ، والحرص على التوفيق بينهما ، والضمير في قوله(بينهما) يعود على الزوجين ، ولم يذكر الله تعالى في الآية الكريمة إلا (الإصلاح) ولم يذكر ما يقابله وهو (التفريق) بين الزوجين، وفي ذلك إشارة دقيقة، وإرشاد من الله تعالى للحكمين إلى أنه ينبغي أن لا يدَّخرا وسعا في الإصلاح، فإن في التفريق خراب البيوت، وفي التوفيق الألفة والرحمة، وغرض الإسلام جمع القلوب على المحبة والوئام(٤)، ولما كان سياق الآية الكريمة يوصي بالتقوى

---

(١) يراجع: الكشاف (١/ ٥٠٨).

(٢) يراجع: دلائل الإعجاز (١/ ٣٦٢)

(٣) يراجع:التفسير المنير للزحيلي (٥/ ٥٨).

(٤) يراجع: روائع البيان تفسير آيات الأحكام (١/ ٤٦٧).

والإخلاص في الصلح بين الزوجين ، وعدم الانحياز لأحدهما، واتباع الهوى حتى ينتهي النزاع بالصلح تأتي الفاصلة للآية الكريمة غاية في الدقة والبلاغة فيقول سبحانه وتعالى: (إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا)، لأن هذه الأمور قد تخفي على الحكمين ، ويترتب عليها عدم الصلح ولكن ما يخفي على الناس لا يخفي على الله تعالى ، فهو سبحانه يعلم كيف يوفق بين المختلفين، ويجمع بين المتفرقين، عليما بأحوال العباد وأخلاقهم، وما يصلح لهم، خبيرا بما يقع بينهم وبأسبابه الظاهرة، والباطنة، فلا يخفي عليه شيء من وسائل الإصلاح بينهما ، والفاصلة كناية عن القدرة والسلطان، وفيه إشارة للحرص على الأخذ بأسباب الصلح ، وزاد المعنى تأكيداً تركيب الفاصلة من الجملة الإسمية، بالإضافة إلى التعظيم الذى يحمله لفظ الجلالة ،و(إنَّ) المؤكدة وهذا غاية التأكيد، والتأكيد من السمات البلاغية للقرآن الكريم ، والتعليل نوع منه ، وهو أبلغ من ذكر الشيء بلا علة ، (فالنفوس تبعث إلى نقل الأحكام المعللة بخلاف غيرها)[1]، فضلاً عن تكرار لفظ الجلالة في قوله تعالى:(يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ) فتكريره أفخم وترديده في النفوس أعظم[2] ، ويظهر حرص الإسلام الكامل على التئام الشقاق بين الزوجين من خلال هذا التعليل، والذى يحمل معانى الترغيب والامتثال للصلح ؛ ليوضح لنا مكانة الأسرة المسلمة، وما يتعلق بها من أحكام وتوجيهات، فهي من الدين بمكان والتحذير من مخالفتها ، والتحفيز للأخذ بها ، وخاصة التعامل بين الزوجين، فهو من الأمور التي لا يطلع عليها أحد إلا الله سبحانه وتعالى ، وحتى يكون هذا التعامل عادلا في حق الصاحب على صاحبه بحيث لا يجترئ على إلحاق الضرر به ، فلا بد أن يكون هناك رقيب من نفسه ، ووازع ديني يضبطه، ليرعى حق الله تعالى، فقامت الفاصلة بالتنبيه ، والإشارة لكل هذه المعاني من خلال تركيبها.

ونلاحظ في معالجة هذه القضية ، وهى نشوز الزوجة اعتمد الأسلوب القرآني على أسلوب الشرط، فنراه تكرر ثلاث مرات في قوله تعالى:(فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟) ، (وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟)،(إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ)، والأساليب الثلاثة

---

(١) يراجع: البرهان في علوم القرآن (٣/ ٩١).

(٢) يراجع: البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد الأندلسي ، تحقيق: صدقي جميل، دار الفكر ، بيروت، ط: ١٤٢٠ هـ.(٢/ ٢٠٩).

يضـمها إطار واحد ، فجميعها طرق لمعالجة الشـقاق، وفي هذا الترابط والتلاحم بين الشـرط والجزاء ما يدفع الزوج وأولى الأمر، للأخذ بهذه الخطوات حتى ينتهي الشقاق بالصلح، وقد ساهم التكرار في تقسيم الآية الكريمة حسب حالة الزوجة ، وكل قسم يتصل بالآخر في تسلسل طبيعي ، وتماثل دقيق أسهم في إيضاح المعنى من خلال التناسق الداخلي الذي ساد العبارات التي قسـم إليها الأسـلوب ، فانتظمت من خلاله كل عبارة من شرط وجزاء تتميز بقوة ترابطها، حيث يربط بين جانبي كل منهما أداة الشـرط(إن) موضـحة مدى التلازم بين هذه الأجزاء، وترتب بعضـها على بعض في ترابط كامل ثم انتظمت كل عبارة مع التي تليها بحيث صارت العبارات متناسقة لفظاً ومعنى و(حين تصدر العبارات بكلمات مكررة يكون لها من حسن الجرس في الأذن ، وقوة الربط في العقل ، وغيره من الوظائف الشيء الكثير)[1].

□

(١) يراجع: من الخصائص البلاغية واللغوية في أسلوب الحديث النبوي الشريف د/ فتحية فرج العقدة ، ط١، ١٩٩٣م ، ص(١٣٨).

المبحث الثاني

البلاغة القرآنية في معالجة نشوز الزوج

إن التدبر في كتاب الله عز وجل يظهر لنا وسطية الشريعة الإسلامية، ومنهجها العادل في معالجة قضية الشقاق بين الزوجين ظهوراً جلياً، ونشوء الكراهة، و سوء المعاشرة من الأمور الطبيعية التي لا يعصم منها أحد، وتشريع الله العادل هو الذي يراعي الفطر، ويحكم في هذا الأمر، فبعد أن تحدثت الآيات السابقة عن دور الإسلام في معالجة نشوز الزوجة، جاء هذا المبحث لنعرض فيه دور الإسلام في معالجة نشوز الزوج، فمع أن الإسلام أعطى للرجل القوامة إلا أنه لم يهمل حق المرأة، و ما لها من واجبات، فكما قدَّم للزوج العلاج في حال نشوزها، قدم لها العلاج المناسب في حال نشوز الزوج، وهذا إن دلَّ فإنما يدل على عدل الإسلام وو سطيته في معالجة هذه القضية، وتأكيده على أن رابطة الزوجية من أعظم الروابط البشرية، وأولاها بالحفظ، ومن أغلظ المواثيق وأجدرها بالوفاء.

قال الله تعالى: ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ١٢٨ وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلۡمُعَلَّقَةِۚ وَإِن تُصۡلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٢٩ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغۡنِ ٱللَّهُ كُلّٗا مِّن سَعَتِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمٗا ١٣٠﴾[1].

سبب نزول الآيات الكريمة:

ورد في سبب نزول هذه الآيات الكريمة ثلاثة أقوال:

الأول: روى الترمذي عن ابن عباس أنها نزلت بسبب سودة بنت زمعة، قال: خشيت سودة أن يطلقها رسول الله (ﷺ) فقالت: لا تطلّقني وأمسكني، واجعل يومي منك لعائشة، ففعل،

---

(١) سورة النساء الآيات (١٢٨، ١٢٩، ١٣٠).

فنزلت: فَلا جُناحَ عَلَيْهِما أَنْ يُصْلِحا بَيْنَهُما صُلْحاً فما اصطلحا عليه فهو جائز، قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. وروىٰ أبو داود والحاكم عن عائشة مثل ذلك.

الثاني: وروىٰ ابن عيينة وسعيد بن منصور عن الزهري عن سعيد بن المسيب أن رافع بن خديج كانت تحته خولة ابنة محمد بن مسلمة، فكره من أمرها إما كبرا وإما غيره، فأراد أن يطلقها، فقالت: لا تطلقني، واقسم لي ما شئت، فجرت السنة بذلك، ونزلت: وَإِنِ امْرَأَةٌ خافَتْ.

الثالث: أن رجلاً كانت له امرأة كبيرة، وله منها أولاد، فأراد طلاقها، فقالت: لا تفعل، واقسم لي في كل شهر إن شئت أو أكثر فقال: لئن كان هذا يصلحُ، فهو أحبُ إليّ، فأتىٰ رسول الله (ﷺ)، فذكر له ذلك، فقال: «قد سمع الله ما تقول، فإن شاء أجابك» ، فنزلت هذه الآية، والتي بعدها، رواه سالم الأفطس عن سعيد بن جبير[1].

المعنى العام للآيات الكريمة:

أخبرنا الله تعالىٰ في هذه الآيات الكريمات عن طرق علاج الخلاف بين الزوجين ، في حالة ما إذا كان النشوز من الزوج، وذكر أحوالاً ثلاثة: حال نفور الزوج من المرأة، وحال اتفاقه معها علىٰ ما اصطلحا عليه، وحال فراقه لها، فالحالة الأولىٰ إذا توقعت المرأة من زوجها ما تكره ترفعا وتكبرا عليها، بترك مضاجعتها والتقصير في نفقتها لبغضها وحبه لغيرها، فلا جناح عليهما أن يتفقا علىٰ صلح بينهما في القسم والنفقة، بأن تترك له شيئا، طلبا لبقاء الصحبة، والصلح خير من الفرقة والنشوز والإعراض ، وتنبه الآيات الكريمة علىٰ ضرورة التخلي عن الشح الذىٰ يحول دون المصالحة ، وتدعوا الآيات الكريمة إلىٰ إحسان العشرة بين الزوجين، وتقوىٰ

---

(١) يراجع: زاد المسير في علم التفسير لجمال الدين الجوزي المحقق: عبد الرزاق المهدي ، الناشر: دار الكتاب العربي ، بيروت

ط١ - ١٤٢٢ هـ ، (١/ ٤٨١)، يراجع: التفسير المنير للزحيلي (٥/ ٢٩٢).

الله تعالى بترك النشوز ، ثم تتدرج الآيات الكريمة، لتبين لنا الحالة الثانية، وهو اتفاقه معها وما يجب على الزوج تجاه زوجته إن مال قلبه لغيرها ، فتدعوه للعدل بينهما فيما يملكه من الأمور المادية والمعنوية، وأمر بالإحسان والتقوى ، فالله يجازى به ، وبعد عرض كل هذه المعالجات والطرق التي عرضها القرآن الكريم رغبة في تحقيق الصلح بين الزوجين، تختم الآيات الكريمة ببيان الحالة الثالثة ، وهى ما إذا استحال الصلح بينهما، وفارق كل واحد منهما صاحبه ، فسوف يغنى الله كلا منهما ، ويرزقه زوجا خيرا من زوجه وعيشا أهنأ من عيشه، فالله واسعا لخلقه في الفضل حكيما فيما دبره لهم.

التحليل البلاغي للآيات الكريمة:

جاءت هذه الآيات الكريمة معطوفة على ما قبلها، حيث تتحدث الآيات السابقة عن أحكام النساء، وهذه الآيات داخلة في أحكامهن، وهذا حكم اختلال المعاشرة بين الزوجين، وكان النشوز من جانب الزوج ، وافتتحت الآيات المباركة بجملة الشرط فـ(إن) أداة شرط، ودخلت على الاسم (امرأة) لأنها أشد حروف الجزاء تمكنا[1] ، ولأن المرأة وهى مسند إليه موضع العناية والاهتمام ، وهى مرتبطة بسبب النزول ،حيث نزلت في شأن المرأة، وهى فاعل لفعل محذوف دلَّ عليه المذكور، والتقدير (إن خافت امرأة خافت) والغرض من حذف المسند هو تقوية الحكم ، وللاهتمام بالفاعل ، لتسليط الضوء عليه، وقد حذف الفاعل من جملة (خافت) الثانية أيضا لهذا الغرض ، فكان الحذف بمثابة التكرير للجملة، والتأكيد على معناها بجملتين متتاليتين ، والحذف في القرآن الكريم من دلائل إعجازه وإيجازه، قال الثعالبي (من أراد أن يعرف جوامع الكلم، ويتنبه على فضل «الإعجاز والاختصار» ويحيط ببلاغة الإيماء،

---

(١) يراجع: معانى القرآن لأبى الحسن البصري، المعروف بالأخفش تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة ط١، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م (١/ ٢٦٧).

ويفطن لكفاية الإيجاز: فليتدبر القرآن)[1]، و(خافت) فعل ماضي، وقد عدل عن المضارع رغم كونه الأليق بالشرط لأنه لما أريد تقديم الفاعل على فعله، للاهتمام بالمسند إليه جعل الفعل ماضيا، وبذلك تشير إلى أن الصلح واجب عند ظهور بوادر النشوز، وهو أولى من انتظار وقوعه، ليمكن تدارك الخطب قبل وقوعه[2]، والخوف هنا بمعنى (توقع ما يكره بوقوع أسبابه، وما لاح لها من أمارات النشوز، والبعل اسم زوج المرأة، وأصل البعل في كلامهم، السيد[3]، ولما كان المقام مقام تذكير بما للزوج من سيادة، عبر القرآن بلفظ البعل، ولم يعبر بالزوج؛ لأن الزوج يصدق على الزوجة أيضاً، وقد جاء التعبير بكلمة "امرأة" دون زوجة؛ لأن القرآن يستعملها في المواضع التي تفقد فيها الحياة الزوجية بعض مقوِّماتها[4]، ونحن بصدد علاج الخلافات الزوجية، وبهذه الخلافات فقدت الحياة الزوجية بعض مقوماتها من الاستقرار والمودة، فكانت اللفظة دقيقة في مكانها، واستقصت الآية الكريمة كل أنواع البعد التي يمكن أن يكون عليها الزوج، فقال الله سبحانه وتعالى: (نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا) والنشوز: أن يجافي عنها بأن يمنعها نفسه ونفقته، والمودة التي بينهما، وأن يؤذيها بسب أو ضرب، والإعراض: أن يقل محادثتها ومؤانستها لطعن في سن أو دمامة، أو شين في خلق أو خلق أو ملال، أو طموح عين إلى أخرى، أو غير ذلك، وهو أخف النشوز[5]، وتبرز وسطية ديننا الحنيف في أنه يوجب على المرأة التحقق من نشوز زوجها، وأنه لم يكن وهما مجردا، أو وسواسا عارضا، ويدل على ذلك جعل فعل الخوف المذكور، مفسرا الفعل محذوف، للاحتراس من بناء الحكم على أساس الوسوسة

---

(١) يراجع: الإعجاز والإيجاز لعبد الملك بن محمد أبو منصور الثعالبي، مكتبة القرآن، القاهرة ص: (٩).

(٢) يراجع: التحرير والتنوير (٢/ ٣٩٣).

(٣) يراجع: السابق (٢٦/ ٢٣٩).

(٤) يراجع: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، د. عبد العظيم المطعني، مكتبة وهبة، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، (١/ ٢٩١).

(٥) يراجع: البحر المحيط في التفسير (٤/ ٨٦)، تفسير القرطبي (٥/ ٤٠٣).

التي تكثر عند النساء، وهو من إيجاز القرآن البديع، فيقول صاحب المنار:(وذلك أن المرأة إذا رأت زوجها مشغولا بأكبر العظائم المالية أو السياسية، أو حل أعوص المسائل العلمية، أو بغير ذلك من المشاكل الدنيوية أو المهمات الدينية، لا تعد ذلك عذرا يبيح له الإعراض عن مسامرتها أو منادمتها، أو الرغبة عن مناغاتها ومباعلتها)[1]، وفي حالة تأكد المرأة من نشوز زوجها لأسباب منها كراهتها ، أو الإعراض عن معاشرتها ، فلابأس من إجراء صلح بينهما يتم الاتفاق عليه ، كأن تترك له يومها، وذلك إذا كان متزوجاً غيرها ، أو تتنازل عن بعض الواجب لها عليه ، وذلك ليستديم الود بينهما، وتتمسك بالعقد الذى يجمعهما، ومن مظاهر بلاغة القرآن الكريم دقة الألفاظ في التعبير عن المعنى المراد ، ومن ذلك النفي بـ(لا)، واختيارها دون غيرها من حروف النفي في (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ) وصيغة فلا جناح من صيغ الإباحة ظاهرا،[2] فدل ذلك على الإذن للزوجين في صلح يقع بينهما ، والإباحة لا تذكر إلا حين يظن المنع، واختيار(لا) من بين حروف النفي لتناسبها مع السياق فالنفي بها فيه قوة و تأكيد وعموم[3]، فهي تؤكد نفي الإثم عن الزوجين من عقد هذا الاتفاق، وتنازل الزوجة عن بعض حقوقها مقابل إبقاء الرجل عليها ، فقد يظن أحدهما أن فيه إثم ، فتأتى صيغة النفي بدلالتها والتي تتفق مع بلاغة القرآن الكريم لتنفي هذا وتبيح عقد التصالح بين الزوجين، ومن واقع الأداء الصوتي لها ندرك أنها من أوسع حروف النفي انتشاراً ، ولأن الألفاظ مشاكلة للمعاني جاءت(لا) مشاكلة لمعناها ، ويقول ابن القيم (وتأمل حرف –لا –كيف تجدها لاما بعدها ألفا يمتد بها الصوت ما لم يقطعه ضيق

---

(١) يراجع: تفسير المنار (٥/ ٣٦٣).

(٢) يراجع: البحر المحيط في التفسير (٤/ ٨٦).

(٣) يراجع: حروف المعاني وبلاغة النص، د/ صلاح الدين محمد أحمد غراب، بحث بلاغي مقدم إلى مؤتمر كلية اللغة العربية بالزقازيق ، ٢٠٠٩م ، ص:(٦١) وما بعدها.

النفس فآذن امتداد لفظها بامتداد معناها)[1]، والجناح هو : الإثم أو الحرج[2]، ودخول النفي المباشر عليه في الجملة، وهو المسند إليه دلَّ على نفي جنس الإثم قليله و كثيره، وهذا فيه إ شارة إلى الترغيب في التدخل السريع، لفض النزاع والقضاء على الشقاق بين الزوجين ، ولفظ (جُناحَ) استعارة تمليحية[3] حيث شبهت هيئة من ترك الصلح ، واستمر على النشوز والإعراض بهيئة من ترك الصلح عن عمد لظنه أن في الصلح جناحاً، فنزلا منزلة التناسب لغرض التمليح على سبيل الاستعارة التمثيلية والغرض منها لفت الانتباه لخيرية الصلح للمسارعة إليه وتمليحها بترك الإثم فيه، ومن بلاغة القرآن الكريم أنه رتب رفع الجناح على مجرد الخوف من النشوز، لا حدوث النشوز بالفعل ، والضمير في(عليهما) يعود إلى الزوجين .

ويأتي النظم القرآني ملائماً لظروف الحياة ، وطبيعة البشر من تجدد الخلافات ، فيقول الحق سبحانه وتعالى:(أَن يُصْلِحَا) فأفاد الفعل المضارع التجدد والاستمرار ليؤكد على استمرار الصلح، وتجدده كلما تجدد الخلاف، وما ذلك إلا؛ لأن الصلح خير ، وهذه صفة ثابتة في المجتمع الإسلامي تدلل على وسطيته وعدله ، ونبذه للجفاء والمشاحنات ، ودعوته للصلح في كل زمان ومكان، والضمير في (بينهما)يعود إلى الزوجين، ويستخدم القرآن الكريم التوكيد وسيلة لتثبيت المعنى في نفوس قارئيه، وإقراره في أفئدتهم ، حتى يصبح عقيدة من عقائدهم، ومن هذا التأكيد قوله:(صلحا) منصوب على المصدر على تقدير: فيصلح الأمر صلحا[4] ، وهذا لتأكيد الأمر بالصلح ، وهو تأكيد الفعل بمصدره، وهو عوض عن تكرار الفعل

---

(١) يراجع:بدائع الفوائد ، لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان (١/ ٩٥).

(٢) يراجع: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور(٥/ ٣٧٨).

(٣) والاستعارة التمليحية: هي استعارة اسم أحد الضدين أو النقيضين للآخر بواسطة انتزاع شبه التضاد، وإلحاقه بشبه التناسب بطريق التمليح ، ثم ادعاء أحدهما من جنس الآخر والإفراد بالذكر ونصب القرينة. يراجع: مفتاح العلوم ص:(٣٧٥).

(٤) يراجع: التحرير والتنوير (٥/ ٢٩١).

مرتين ورفع توهم المجاز في الفعل فقد يطلق الكلام على الإيحاء والمجاز، وينصرف الذهن إليه، فجاء المصدر لإزالة هذا التوهم[1] ، أي أنه صلحاً حقيقيا توافرت فيه كل عوامل الا ستمرار والـ صفاء والنقاء من الجانبين، وقد ا شتملت الآية الكريمة على نوع من البديع ، وهو أيضاً طريق من طرق التأكيد على الصلح ، وهو الجناس المغاير في قوله تبارك وتعالى: (يُصْلِحا بَيْنَهُما صُلْحاً) فتكرر لفظ الصلح ، مع الاختلاف بينهما في الصيغة، فأحدهما ا سم، والآخر فعل ، فجاء ا ستدعاء لميل الـ سامع والا صغاء إليه ، لأن النفس تـ ستحـ سن الكلام المكرر[2]، فأدى دوره في الدعوة والامتثال إلى الصلح ، والأخذ بأسباب الصلح، وهي: الإغـ ضاء عن الهفوات، ومقابلة الغلظة باللين، وقد أ شار القرآن الكريم إلى المحافظة على ما بين الزوجين من أسرار لا يجب أن يطلع عليها أحد سوى الزوجين مهما كان قريباً، حتى في حال الخلاف فجاء ـ(بَيْنَهُما) ظرفاً للتنبيه على أن هذا الصلح يكون بين الزوجين بناء على اتفاق بينهما، أو حال من صلحا أي كائنا بينهما[3] .

وجاء التعقيب بقوله تعالى:(وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ)، وقد وضع فيها الظاهر موضع المضمر، فلفظ الصلح قد ذكر سابقاً، وكان السياق يقتضي (وهو خير) ولكن عدل عن الضمير إلى التعبير بالظاهر، للترغيب في الصلح بين الزوجين، كما أن ذكره قوى إسناد الخيرية له، وأنه أفضل الطرق التي يجب على الزوجين اتباعها، كما أن فيه زيادة تأكيد على أفضليته وتعظيم شأنه ، وتمكينه في ذهن السامع، (ولأن الظاهر لما وقع في غير موقعه كان كحدوث شيء غير متوقع

---

(١) يراجع: من بلاغة القرآن، لأحمد عبد الله البيلي البدوي، نهضه مصر – القاهرة ، ٢٠٠٥م ، ص(١١٤).

(٢) يراجع: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ص: (٣٢٥)

(٣) يراجع: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين الألوسي ، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية بيروت ، ط١، ١٤١٥ هـ. (٣/ ١٥٦).

فأثر في النفس تأثيراً بليغاً)[1]، وقد اشتملت هذه الجملة أيضاً على الإطناب المتمثل في التذييل، حيث تضمنت معنى الجملة السابقة لها ، ولكنه ذيِّل بهذه الجملة للتأكيد على أن الصلح هو خير للناس، وبذلك (قد دلت الآية على شدة الترغيب في هذا الصلح بمؤكدات ثلاثة: وهي المصدر المؤكد في قوله: صلحا، والإظهار في مقام الإضمار في قوله: والصلح خير، والإخبار عنه بالمصدر ،أو بالصفة المشبهة، فإنها تدل على فعل سجية) [2]

ولأن الإسلام دين الوسطية والاعتدال ويدعو إلى السلام ونبذ الفرقة والخلاف ، ولاسيما داخل الأسرة الواحدة، جاء تكرار لفظ (الصلح) ثلاث مرات، والتأكيد من أهم أغراض ظاهرة التكرار[3]؛ ولأن الآيات الكريمة تعالج النشوز بين الزوجين جاء مكرراً للتركيز عليه، ولفت الانتباه إليه ، وتسليط الضوء عليه ، وكأنه هو المراد الذي ترمى إليه الآيات الكريمات، ولترسيخه في ذهن الزوجين ، وبيان أهمية المعنى المكرر، وهو الصلح ، ويقول الزمخشري عن فائدته: (ولأنّ في التكرير تقريرا للمعاني في الأنفس، وتثبيتا لها في الصدور، ألا ترى أنه لا طريق إلى تحفظ العلوم إلا ترديد ما يراد تحفظه منها، وكلما زاد ترديده كان أمكن له في القلب، وأرسخ في الفهم ، وأثبت للذكر وأبعد من النسيان)[4] ، ولم يكن التأكيد على معنى الصلح نابعاً من تكرار اللفظ فقط، ولكن ظهر أيضاً من خلال الدلالة الصوتية لحروف هذه الكلمة، حيث جاءت الكلمة تتألف من حروف تدل على معناها ، فجاءت (الصاد) وهى من الحروف المهموسة، ومن أسلة اللسان ، وهي مستدق طرف اللسان[5]، و(الحاء) وهو أيضاً (حرف

---

(١) يراجع: حاشية الدسوقي على شرح السعد ضمن (شروح التلخيص) (١/ ٤٥٧).

(٢) يراجع: التحرير والتنوير (٥/ ٢١٧).

(٣) يراجع: التكرار الأسلوبي في اللغة العربية، د/ السيد خضر، دار الوفاء للطباعة ، المنصورة ، ط١ ، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.ص(٥٥).

(٤) يراجع: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٣/ ٣٣٤).

(٥) يراجع: لسان العرب (٧/ ٣).

مهموس رخو رقيق ، أشبه ما يكون بالحفيف ، ويوحى عند نطقه بملمس الحرير)[1] فلا نجد في مخارج حروف هذا اللفظ إلا هدوءاً في المخارج ، وهمساً في الصفات، فيشيع بجرسه ، وصفات حروفه جواً من الهدوء ، والراحة ، وانتشار الطمأنينة ، وهذا هو حال بيت الزوجية عندما يتم الصلح بين الزوجين.

و بعد أن بينت لنا الآيات الكريمة أن الصلح هو الأفضل للزوجين ، جاءت لتبين لنا السبب الذي قد يحول بين الزوجين وبين الصلح الذي فيه الخير ، وحسم مادة الخلاف والشقاق، لأجل أن نتقيه ونجاهد أنفسنا في ذلك، وهو الشح ، فيقول الحق جل وعلا: ﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾ والشح: هو بخل مع حرص[2] وجاء الفعل المبنى للمجهول (أحضرت) ليدل على عموم وشمول تلك الصفة، وتمكنها من نفوس البشر، وليبين أن الشح مركوز في الجبلة والخلقة، فهو في الطبيعة لا ينفك عنها ، ولبيان شموله ، وملازمته لنفوس الزوجين في هذا الوقت، بسبب الخلاف ، ويقول صاحب التحرير (ولكونه من أفعال الجبلة بني فعله للمجهول على طريقة العرب في بناء كل فعل غير معلوم الفاعل للمجهول، كقولهم: شغف بفلانة)[3] وإحضار الأنفس الشح: أن الشح جعل حاضرا لها لا يغيب عنها أبدا، ولا تنفك عنه، يعني: أنها مطبوعة عليه[4]، فالنساء حريصات على حقوقهن في القسم والنفقة وحسن العشرة ، قليلات التسامح فيها ، والأزواج حريصون على أموالهم أ شحة بما لهم من نصيب في زوجات أخريات، فإذا جاء مقتضى البذل ألم الشح بالنفس، ونهاها أن تبذل ما ينبغي بذله لأجل الصلح،

---

(١) يراجع: خصائص الحروف العربية ومعانيها ، حسن عباس ، اتحاد الكتاب العرب ، ١٩٩٨م، ص: (١٨١، ١٨٢).

(٢) يراجع: المفردات (٢٥٦).

(٣) يراجع: التحرير والتنوير (٥/ ٢١٧).

(٤)يراجع: البحر المحيط في التفسير (٤/ ٨٧).

وإقامة المصلحة ، وهي جملة معترضة ، لتمهيد العذر في المماكسة والمشاقة[1]، وهي معطوفة على جملة (والصلح خير) التي الغرض منها الترغيب في المصالحة ، وأحضرت الأنفس الشح هذا من باب الاستعارة المكنية التي أفادت المبالغة فجعل الشح، كأنه شيء معد في مكان، وأحضرت الأنفس و سيقت إليه، ولم يأت، وأحضر الشح الأنفس فيكون مسوقا إلى الأنفس، بل الأنفس سيقت إليه لكون الشح مجبولا عليه الإنسان، ومركوزا في طبيعته[2]، لذلك أضيفت إلى النفس (ليس المراد أن محضرا أحضر الأنفس شحها، ولكن الشح، لما كان غير مفارق لها، ولا متباعدا عنها، كأنه قد أحضرها، وحمل على ملازمتها)[3]، وقد جاء الإسلام دينا وسطاً ، فنهى عن الشح ، حتى في حال الخلاف، وحث الزوجين على لزوم مقاومة تلك الجبلة المذمومة، والصفة القبيحة ، والتغلب عليها بالسماحة حتى يسهل الوصول للصلح، والأخذ بأسبابه، وهي الإغضاء عن الهفوات، ومقابلة الغلظة باللين، وتظهر البلاغة القرآنية جلية واضحة في اختيار المفردات التي تعبر عن المعنى بدقة فائقة، حيث جاءت الآية الكريمة بلفظ (الشح) دون (البخل)، لأنه أشد منه ، كما أن فيه معنى الشدة والحدة والجفاء مع ما يضفيه التضعيف في المادة من معنى المبالغة ، وهو يشمل الشح بالمال، والمشاعر.

وبعد التنفير من هذه الصفة الذميمة، والتحذير من الأسباب المانعة من الصلح ذيّلت الآية الكريمة بالترغيب في الإحسان والتقوى، حيث يقول الله تعالى:(وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا) أي وإن تحسنوا في العشرة مع النساء، وتتقوا النشوز والإعراض، وإن تظافرت الأسباب الداعية إليهما وتصبروا على ذلك ، ولم تضطروهن على فوت شيء من حقوقهن، أو بذل ما يعز عليهن، فإن الله كان بما تعملون من الإحسان والتقوى، خبيرا فيجازيكم

---

(١)يراجع: روح المعاني (٣/ ١٥٦).

(٢) يراجع: البحر المحيط في التفسير (٤/ ٨٧).

(٣)يراجع: الموسوعة القرآنية خصائص السور (٢/ ٢٠٢).

ويثيبكم على ذلك[1].

وتظهر بلاغة القرآن الكريم ودقته في اختيار اللفظة القرآنية حيث عبر عن رعاية حقوق النساء بالإحسان، فالإحسان قد يكون واجبا وغير واجب[2]، وهذا يقتضي دعوة الإسلام للإحسان من الزوج على أية حال سواء كان هناك سبب لهذا النشوز، كتقصير من المرأة في حقوقه ، فيكون هنا غير واجب، أو من غير سبب ، فيكون الإحسان واجباً عليه، وهذا المعنى لا يأتي مع لفظة أخرى غير هذه اللفظة، وجعل النشوز والإعراض عن الزوجات مما يتقى منه ، فالاتقاء فيه معنى الاحتراس[3] من ظلمهن، واختيار هذه الألفاظ دون غيرها غاية في البلاغة ، فكلا اللفظين أدى دوره في الدعوة إلى حسن العشرة والتقارب بين الزوجين، فيقول ابن الأثير: (ندب تعالى إلى الإحسان في العشرة على النساء وإن كرهن مراعاة لحق الصحبة، وأمر بالتقوى في حالهن، لأن الزوج قد تحمله الكراهة للزوجة على أذيتها وخصومتها، لا سيما وقد ظهرت منه أمارات الكراهة من النشوز والإعراض، وقد أوصى النبي (ﷺ) بهن خيراً فقال: «فإنهن عوان عند الأزواج»)[4]، كما أن التعبير عن الإحسان، والاتقاء بالفعل المضارع يدل على الأمر بتجددهما ، واستمرارهما لما له من دور في بقاء العشرة والمحافظة عليها ، بالإضافة إلى الالتفات الذى اشتملت عليه الآية الكريمة، حيث جاءت في الحديث عن هذه الحالة من نشوز الزوج بأسلوب الغيبة ثم انتقلت إلى الخطاب في قوله :(وَإِن تُحْسِنُواْ وَتَتَّقُواْ)، وقد أدى هذا الالتفات في مخاطبة الأزواج دوره في الاستمالة والترغيب في حسن المعاملة من خلال التكريم والتعظيم بالخطاب لمن يقوم بهذا الإحسان والاتقاء، ومن بلاغة الالتفات (أنه أبلغ في تجديد نشاط السامع ، وأكثر إيقاظاً لمشاعره

---

(١) يراجع: روح المعاني (٣/ ١٥٧).

(٢) يراجع: الفروق اللغوية ص: (١٩٤).

(٣)يراجع: السابق (٢٤٣).

(٤) يراجع: البحر المحيط في التفسير (٤/ ٨٨).

فيقع في نفسه موقعاً حسناً ، ويحقق فوائده المرجوة)[1].

ويظهر عدل الإسلام ووسطيته ، لمنع الخلاف بين الزوجين وهو المساواة بينهما في كل شيء، إلا القيام بريا سة الأسرة، فالرجل أقوىٰ من المرأة بدنًا وعقلًا ، وأقدر علىٰ الكسب، وعليه النفقة ، كما جاء في قوله تعالىٰ:(وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ)[2] فيجب علىٰ الزوج حسن المعاشرة، والعدل قدر المستطاع.

وجاء الشرط بـــــ(إن) التي تستخدم في الأمر غير المقطوع به ، لأن الإحسان والتقوىٰ غير مقطوع به في هذا الوقت، أي وإن تحسنوا بالإقامة عليها مع كراهتكم لصحبتها، وتتقوا ظلمها، فسوف يثيبكم الله تعالىٰ، و تأتىٰ جملة جواب الشرط في قوله تعالىٰ: (فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرًا) مقترنة بـ(الفاء) لتدل علىٰ سرعة الجزاء والإثابة علىٰ هذا الإحسان ، فالله عليم لا يخفي عليه شيء مما تعملون من الإحسان وغيره ، و سوف يجازيكم عليه الجزاء الأوفىٰ (وختم آخر هذه (الآية) بصفة الخبير وهو علم ما يلطف إدراكه ويدق، لأنه قد يكون بين الزوجين من خفايا الأمور ما لا يطلع عليه إلا الله تعالىٰ، ولا يظهران ذلك لكل أحد)[3].

ومن المعلوم أن الفاصلة هي (منبع الصوت النفسي ، وهو الصوت الموسيقي الذي يكون من تأليف النغم بالحروف، ومخارجها وحركاتها ، ومواقع ذلك من تركيب الكلام ونظمه علىٰ طريقة متساوقة، وعلىٰ نضد متساو، بحيث تكون الكلمة ، كأنها خطوة للمعنىٰ في سبيله إلىٰ النفس، إن وقف عندها هذا المعنىٰ قطع به)[4]،فنرىٰ أن الفاصلة في الآية الكريمة جاءت

---

(١) يراجع: دراسة بلاغية ونقدية لمسائل علم المعانىٰ ، د بسيونىٰ فيود مؤسسة المختار ط٢ ١٤٢٥هـ ، ٢٠٠٤م.(٢٤١) بتصرف.

(٢) سورة البقرة: الآية (٢٢٨).

(٣) يراجع: البحر المحيط في التفسير (٤/ ٨٨).

(٤) يراجع: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي ص: (١٥٢).

جامعة بين محاسن الصياغة ، وبلاغة المعنىٰ بإحكام ، فجاءت بليغة في موضعها موافقة للنسق، حيث أقام الله سبحانه وتعالىٰ كونه عالماً بأعمالهم مقام إثابته إياهم عليها الذي هو في الحقيقة جواب الشرط إقامة للسبب مقام المسبب[1].

ثم تأتي الآيتان الكريمتان، لتبينا لنا سبباً آخر من أسباب الشقاق ، وهو اتجاه الزوج لزوجة أخرىٰ مما ينشئ عنه الكراهية في قلبه ، ويبعثه علىٰ النشوز والإعراض، فيظلم ولا يعدل، وحرصاً من الإسلام علىٰ معالجة الشقاق، ومحو أسبابه بين الزوجين ، يدعو الرجال في هذه الآية الكريمة إلىٰ العدل بين الزوجات ، وقد اشتملت الآيتان علىٰ عدة معانىٰ ، وجاءت الألفاظ القرآنية غاية في الدقة للتعبير عن هذه المعاني، فقررت الآيتان في البداية طبيعة الضعف البشرىٰ في العدل بين الزوجات ، حيث يقول الله تعالىٰ(وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا) ، وأخرج عن أبي مليكة أن الآية نزلت في عائشة رضي الله تعالىٰ عنها وكان رسول الله (ﷺ)يحبها أكثر من غيرها،[2] وعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت: «كان النبي (ﷺ) يقسم بين نسائه فيعدل ثم يقول: اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك»[3]

فجاءت الآية مستهلة بـأداة النفي (لن) للمبالغة في النفي، وهو مختص بالمضارع، ينصبه بنفسه، ويخلص زمنه للمستقبل ، فنفت استطاعة العدل بين الزوجات علىٰ الدوام سواء في الحال أو الاستقبال[4]، ولكن توخىٰ الحرص والمقاربة مطلوب، فالله الذىٰ فطر تلك النفوس البشرية يعلم أنها ذات ميول لا تملكها ، ومنها ميل قلب الزوج إلىٰ إحدىٰ زوجاته ، فيؤثر واحدة

---

(١) يراجع: تفسير البيضاوي (٢/ ١٠٠).

(٢) يراجع: روح المعاني (٣/ ١٥٧).

(٣) يراجع: أخرجه أبو داود في سننه كتاب النكاح / باب ، في القسم بين النساء ، حديث (٢١٣٤) (٢/ ٢٤٢).

(٤) يراجع: النحو الوافي لعباس حسن ، ط (١٥) ، دار المعارف(٤/ ٢٩٩).

عن الأخرىٰ، وتفاوت النساء في الحسن وخفة الروح وكرم الخلق أمر يغالب نفس الزوج، فيجعله يؤثر ويميل ، حتىٰ ولو كان حريصا علىٰ إظهار العدل بينهن،[1] فلذلك قال(وَلَوْ حَرَصْتُمْ)، وجاء الشرط بـ (لو) الشرطية الامتناعية ، وامتناع الشيء انتفاؤه[2] أي أن الاستطاعة منفية، فامتنع العدل حتىٰ مع الحرص لعدم الاستطاعة علىٰ ذلك.

وأقام الله ميزان العدل بقوله تعالىٰ: فَلا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ) ، أي لا يفرط أحدكم بإظهار الميل إلىٰ إحداهن أشد الميل حتىٰ يسوء الأخرىٰ، بحيث تصير الأخرىٰ كالمعلقة ، ونرىٰ أن الاستطاعة علىٰ العدل منفية في صدر الآية حتىٰ مع الحرص ، وجاءت(كل) ودخلت علىٰ المعرفة للتأكيد علىٰ أن الميل المنهىٰ عنه هو جميع الميل الحسىٰ من النفقة ، المبيت ، والسكنىٰ ، أما القلبي الذىٰ لا دخل له فيه ، فلا يؤاخذ عليه ، فإذا كان هناك ميل، فلا يكون ميل شامل للحسىٰ والقلبي معا، والله أعلم وأحكم.

و نرىٰ القرآن الكريم يقدم للحياة الزوجية ما يضمن السعادة والاستقرار لها، فجاء أسلوب النهىٰ في (فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ) للإرشاد والنصح، أي فلا تجوروا علىٰ المرغوب عنها كل الجور، فتمنعوها حقها من غير رضا منها، واعدلوا ما استطعتم، فإن عجزكم عن حقيقة العدل لا يمنع عن تكليفكم بما دونها من المراتب التي تستطيعونها، ومالا يدرك كله لا يترك كله [3]، و فيه إشارة لعدم إلزام النفس بما لا تستطيع ، بالإضافة إلىٰ أن النهىٰ عن الميل جاء بـ(لا) لما فيها من استطالة في النطق يحاكىٰ استطالة النهىٰ عنه .

و تأتىٰ وسطية القرآن الكريم في بيان وجوب تحرىٰ العدل فيما يملكه الزوج من النفقة والمعاشرة، والأمور الظاهرة بحيث لا ينقص الزوج إحدىٰ زوجاته شيئاً منها مما يحفظ للمرأة

---

(١) يراجع: التحرير والتنوير (٥/ ٢١٨) بتصرف.

(٢) يراجع: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ص:(٩٩).

(٣) يراجع: روح البيان، لإسماعيل حقي الإستانبولي الحنفي المولىٰ أبو الفداء ، دار الفكر ، بيروت، (٢/ ٢٩٧).

حقها وكرامتها، وفي الوقت ذاته عدم تكليف الزوج ما لا يطيق ، ولا يقدر عليه من العدل القلبي، فلا يؤاخذ عليه ، ولا يعد نقصاً في عدله ، والدليل أن الآية الكريمة قد ذيلت بقوله جل وعلا:(فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا) والسبب أن الميل هو عمل قلبي ، والقلب هو الذي يحرك الجوارح، ويحمل أيضاً في طياته معنى التوبيخ لمن لم يراع حق الله في العدل المتاح بين نسائه ، وجاء جناس الاشتقاق المغاير بين (تَمِيلُوا ، الْمَيْلِ) لغرض التوكيد عن الابتعاد عن الميل حيث جاء أحدهما اسماً، والآخر فعلاً، والميل هو (العدول عن الوسط إلى أحد الجانبين، ويستعمل في الجور، وملت عليه: تحاملت عليه)[1] ، فلو اقتصرت الآية الكريمة على ذكر الفعل (فلا تميلوا) لم يفصح التعبير عن الميل المنهى عنه ، وكان النهى عن جميع الميل حتى القلبي الذي لا دخل للرجل فيه ، ولكن عندما ذكر الطرف الآخر(كل الميل) المسبوق بأداة العموم عمل الجناس على ترديد صوتي من خلال تكرار حروف الكلمة لتصور المعنى بصورة مكثفة، وتؤكد علي ضرورة تجنب الميل قدر المستطاع فيما يملكه الزوج ، فجاء الجناس في الآية ملمحا أسلوبيا أدى المعنى بأوجز عبارة، ومنح المتلقي آفاقا رحبة في تخيل دلالات العبارة، وإمعان النظر في هذا اللفظ المكرر ، وهنا جاء الجناس في الآية (غير متكلف فأحسن وأبدع لفظا ومعنى)[2]، ونرى بلاغة القرآن الكريم جلية واضحة من خلال إيجاز الحذف، ولا غرو فالقرآن هو مورد الإيجاز ومصدره حيث حذف جواب الشرط ، فجاء متعلق (تَمِيلُوا) محذوف مقدر بإحداهن ، والتقدير فلا تميلوا كل الميل عن إحداهن ، وأن ضمير (فتذروها) المنصوب عائد إلى غير المتعلق المحذوف بالقرينة، وهو إيجاز بديع، من خلال هذا الحذف الذي اعتمد على فطنة المتلقي في فهم السياق ، وربط أجزائه بعضها ببعض ، وتظهر بلاغة القرآن الكريم حيث عبر بالفعل (تذروها) دون غيره ، ومعناه التخلي عن الشيء إهمالا له، لعدم الاعتناء بشأنه، يقال:

---

(١) يراجع: المفردات في غريب القرآن ، مادة (ميل) ص:(٧٨٣).

(٢) يراجع: البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية ، د/ محمد أبو موسى، ص: (٤٩٩).

فلان يذر الشيء، أي: يقذفه لقلة اعتداده به[1] ، وهنا جاء دقيقا في موقعه حيث وضح لنا من خلال دلالته اللفظية إلى ما يلحق بالزوجة من ضرر نفسي ، وحسي نتج عن هذا الميل، فتركها كان فيه إهمال وتخلي عنها ، وهذا ما لم يرضه الإسلام ونهى عنه، وللتأكيد على هذا النهي جاء الإسلام بتصوير المرأة عند الميل عنها بصورة تنفر من هذا الفعل، فقال سبحانه وتعالى:(فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ) والمعلقة: هي المرأة التي يهجرها زوجها هجرا طويلا، فلا هي مطلقة ولا هي زوجة[2]، وجاء التشبيه المرسل ، وقد تطلبه المعنى حتى يصبح قويا في طلب العدل، والبعد عن الجور، فجاء المشبه به على وجه التخييل ، قال أبو حيان (شبهت المرأة بالشيء المعلق من شيء، لأنه لا على الأرض ا ستقر، ولا على ما علق منه)[3]، فالمشبه في هذه الصورة هي الزوجة التي يؤثر زوجها ضرتها عليها ويتركها مهملة لا هي أيم، ولا هي ذات زوج، وهي صورة حسية منتشرة في كثير من المجتمعات، والمشبه به صورة لإنسانة معلقة تتأرجح في الهم لا تجد شيئا تستقر عليه، والأسلوب القرآني لا يمضي إلى التشبيه، كأنما هو عمل مقصود لذاته، ولكن التشبيه يأتي ضرورة في الجملة يطلبه المعنى ليصبح وا ضحا قويا، وتكمن بلاغة هذا التشبيه في نقل الصورة إلى طور التجسيد المحسوس الذي ينبعث منه الألم والعذاب للتنفير من هذا الفعل والدعوة إلى العدل وعدم الجور ؛ ولأنه لو وجدت هذه الصورة في الحقيقة لعز منظرها على أشد القلوب قساوة ، وتفانوا في إيجاد ما يخلصها من هذا العذاب، ووجه الشبه فقدان الا ستقرار النفسي مع العذاب المنذر بالهلاك ، فضلا عما قامت به (الكاف) من ربط سريع بين طرفي التشبيه جعل المعنى أسرع وصولا لذهن السامع، وبذلك قد أدى التشبيه دوره وغرضه البلاغي في (تصوير ا ضطراب المرأة وقلقها، وعدم ا ستقرارها على حال، حتى لتصبح حياتها

---

(١) يراجع: المفردات في غريب القرآن ، مادة (وذر) ص:(٨٦٢).

(٢) يراجع: التحرير والتنوير (٥/ ٢١٨).

(٣) يراجع: البحر المحيط في التفسير (٤/ ٨٠).

مليئة بالتعب والعناء)[1]، وتنبيه الزوج على هذا الظلم الواقع على الزوجة ونهيه عنه، وقد أضفي التشبيه صورة حية حيث صور الزوجة بالمعلق الذى لا يملك لنفسه قراراً ثابتاً، ولا يستطيع الخلاص منه فلا هي زوجة، ولا هي مطلقة، وقرن هذا المشهد المروع بهذا الهتاف المؤثر العميق في قوله تعالى: (وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا)،وبذلك جاء التشبيه في الجملة القرآنية، ليعطى الفكرة في صورة واضحة مؤثرة، وبهذه الصورة الحية الناطقة ظهرت بلاغة القرآن الكريم ودعوتها إلى الوسطية في أبهى صورها، حيث بدت الصورة بأبشع ما يكون عليه تصرف الإنسان السيء، وكأ شنع ما يكون عليه التناقض مع ما أمر الله به من المودة والرحمة بين الزوجين، فقال الحق سبحانه وتعالى:(وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)[2]،كما تضمنت الآية الكريمة إيجازا بديعاً، حيث حذف مفعولي الفعلين(تُصْلِحُواْ, وَتَتَّقُواْ) والغرض من هذا الإيجاز هو إثبات معنى الفعلين وصرف الاهتمام إليهما، من خلال ألا يحدد الإصلاح بأمر دون آخر، فهو مطلوب في كل أمر، والثاني أن التقوى لا تكون إلا له سبحانه وتعالى، والحذف يحقق الإيجاز، ويجعل الاهتمام منصباً على الفعلين، لما لهما من أهمية عظمى في حياة المسلم، وبناء أسرة سعيدة.

وجاء الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة بقوله:(وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ)، وفي الآية السابقة بقوله:(وإن تحسنوا وتتقوا) والجواب والله أعلم: أن الآية الأولى فيما بين المرأة وزوجها، فإذا خافت منه وأرادت تآلفه وبقاءها وكينونتها في عصمته، فلا جناح عليهما أن تعطى شيئاً من نفسها وتترك بعض حقها كأن تؤثر ضرتها في القسمة، أو تترك هي حظها كما

---

(١) يراجع: من بلاغة القرآن ص: (١٥٣).

(٢) سورة الروم: الآية (٢١).

فعلت سودة (رضى الله عنها)، أو تهب له من حالها لا جناح عليها في هذا ، ولا على زوجها في قبول ذلك منها، وإن كان الطبع يأبى من إسقاط حق أو تنقصه لما جبلت عليه النفوس، وإليه الإشارة بقوله تعالى: "وأحضرت الأنفس الشح" ثم قال الله تعالى: "وإن تحسنوا وتتقوا "، فندب كلا منهما إلى الإحسان والتقوى ، والزوج أخص بذلك وأولى وأن يحتمل كل منهما من صاحبه ويصبر عليه ، فإن الله مطلع عليه خبير بما يكنه ويخفيه، ولما قال سبحانه وتعالى في الآية الثانية (وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ) ، فقرر أن القلوب لا تملك ولا بيد الإنسان فسادها ولا صلاحها ، فإن عدل في القسمة والمحادثة ، والإنفاق والنظر وبشاشة الوجه، وجميل الملاقاة وفرضنا اجتهاده في هذا كله حتى تحصل المساواة ، لم يقدر أن يميل بقلبه إلى كلهن على حال سواء: "فلا تميلوا كل الميل "بل على الإنسان أن يجتهد ثم جاء بقوله تعالى:(وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ) والمراد ما استطعتم ، وكان في إمكانكم فإن الله يغفر لكم ما سوى ذلك[1].

وقد ختمت كل آية بما يناسبها ، ومساق الآية الكريمة التي بين أيدينا تستدعى أن تكون الفاصلة مغفرته سبحانه وتعالى: فقال الله تعالى:(فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا)، فالآية تذكر أن العدل لا يستطاع، فإن لم تكن المغفرة هلك المكلف ، وهى كناية عن الرحمة، فجاءت الفاصلة دقيقة في موقعها، فضلاً عن أنها جاءت مشتملة على عدد من التأكيدات (إنَّ)، (كان) واسمية الجملة ، ولفظ الجلالة الذى أكسب الفاصلة فخامة ، وتأكيداً، وصفة المبالغة التي أكدت على رحمته سبحانه وتعالى، فهو سبحانه وتعالى واسع المغفرة لمن لم يستطع العدل، عظيم الرحمة بعباده المؤمنين ، كما أن (غفوراً) فيه إشارة إلى أن عدم العدل والميل فيه ظلم يقتضى التوبة من العبد ، وقدم وصف المغفرة في الآية على الرحمة؛ لأن درء

---

(١) يراجع: روح المعاني (١/ ٥٠٦).

المفاسد مقدم على جلب المصالح[1]، وهذا يشير إلى عظمة الإسلام، وعدله في تقويم الفرد، مما يساعد على إقامة مجتمع سليم قائم على العدل والوسطية.

وبعد هذه الآيات السابقة التي عالج فيها الإسلام الشقاق بين الزوجين متبعاً فيها منهج الوسطية والاعتدال، جاء قول الله تعالى:(وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا) تأذن لهما في الفراق، إن لم تنجح المصالحة، فالفراق قد يكون خيرا لهما؛ لأنه خير من سوء المعاشرة، فاستهلت الآية الكريمة بأداة الشرط (إن) التي تستخدم في الأمر غير المقطوع به، ويخالطه الشك[2]، ووقوع الطلاق بعد هذا العلاج الحكيم الذى قررته الآيات القرآنية السابقة أمر محتمل غير مقطوع به، فمن اتبع شرع الله تعالى في علاج هذا الشقاق وفق في القضاء عليه، ولم شمل الأسرة؛ ولأنه أبغض الحلال إلى الله تعالى، لم يشرع إلا إذا دعت إليه الحاجة النفسية، وهذه الجملة معطوفة على قوله تعالى:(فلا جناح عليهما أن يصلحا)، أي: إن لم يجد الصلح، وتعذر قيام المودة والمحبة بينهما، فالفرقة أفضل لهما، وقوله(يتفرقا) كناية عن الطلاق، وقد أسند الفعل إلى الزوج، والزوجة لا لأحدهما؛ لأن التفرق بالطلاق نتيجة تفرق القلوب، وعدم حرص أحد منهما على استرضاء الآخر وصلحه، فالتفرقة قرار كلٌّ منهما، ثم يأتي جواب الشرط(يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا)، ليكون من باب تسلية الله تعالى للزوجين حتى لا ييأس كلٌّ منهما بعد هذه الفرقة، ويأمل فيما عنده سبحانه وتعالى، فهو الواسع في فضله ورحمته، فقد يسخر للمرأة رجلا خيرا منه، ويسخر للزوج امرأة خيرا منها، ومن بلاغة القرآن الكريم انتقاء الفعل(يغنى) حيث الإجزاء، والنفع،

---

(١) يراجع: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، لأحمد بن إبراهيم الثقفي الغرناطي، وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (١/ ١٠٩).

(٢) يراجع:الإيضاح ص:(٥٧).

والاكتفاء ، وإشباع الحاجة ، والغنىٰ يكون بالمال وغيره من القوة والمعونة[1] فعبر بهذه المادة في هذا المقام ؛ للدلالة علىٰ تكثيف عطاء الله لكلا الزوجين، لما لاقاه كلٌّ منهما من عناء بسبب هذه الفرقة ، فجاءت كلمة (سَعَتِهِۦ)، لتعبر عن سعة قدرته وعلمه ورحمته وإفضاله[2] ، فالغنىٰ لا يكون بالمال فقط، ولكن بالقوة التي تعين كلا منهما علىٰ تحمل هذه الفرقة وفيه إشباع حاجة كلٌّ منهما ، فيرزق الزوج بمن هي أفضل منها، والزوجة بمن هو أفضل منه ، وتظهر البلاغة القرآنية أيضا في أن هذا الإغناء لم يشرع إلا بعد محاولات وسعىٰ للصلح، ومن وسطية الإسلام في هذا أنه لم يرغم كلا من الزوجين المتنازعين أن يعيش مع الآخر ، بل وعدهما بالغنىٰ وسعة فضله سبحانه وتعالىٰ ، وتظهر وسطيته أيضا في تشريع الطلاق ، حيث تظهر حكمته جلية واضحة في هذه الحالة، من خلال مراعاة الجانب الشعوري للأبناء، والحفاظ عليهم لينشأوا نشأة سوية بعيدة عما يؤثر علىٰ أخلاقهم ، فإنه إذا لم يكن في مقدور الزوجين أن يعيشا في حب وسلام، وكانت الحياة بينهما مشحونة بالمتاعب والمصاعب، فإن العاقبة ستكون سيئة بالنسبة لهما، ولأبنائهما .

وفي الآية الكريمة إشارة إلىٰ أن إغناء الله كلا منهما إنما يكون عن الفراق المسبوق بالسعي في الصلح[3]، والسعة الغنىٰ والمقدرة، وجاءت الفاصلة مناسبة لما تقدم في الآية الكريمة، فالإغناء يتطلب السعة، فجاءت جملة(وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا) مستأنفة معللة لمضمون الجملة التي قبلها ، فسبحانه وتعالىٰ غنيٌّ مقتدر علىٰ غناهم ، فكلمة "واسعا "علىٰ تقدير مضاف، وهو الرحمة ، أو واسع الرحمة ، وكان ولا يزال حكيما، وجاز وصف الله بأنه واسع لما فيه من المبالغة في الصفة، وذكر أنه واسع الرزق، واسع الفضل، واسع الرحمة ،

---

(١) يراجع: الفروق اللغوية للعسكري، ص:(١٧٥).

(٢) يراجع: المفردات في غريب القرآن، ص: (٨٧٠) مادة (وسع).

(٣) يراجع: التحرير والتنوير (٥/ ٢١٩).

وواسع القدرة ، ولو ذكر على الأصل لاقتصر على واحد منها ، وإذا أطلق ذهب الخيال إلى جميعها ، فكان أبلغ في الصـفة من هذه الجهة[1] ، ومن بلاغة القرآن الكريم أنه جاء بـ صفة الغنى والقدرة مقترنة بصفة الحكمة ، وهو وضع الشيء موضع ما يناسب؛ لأن السعة ما لم تكن معها الحكمة كانت إلى الفساد أقرب منها للصلاح[2].

□

(١) يراجع: التَّفْسِيرُ البَسِيط ، لأبي الحسن علي النيسابوري، المحقق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ، الناشر: عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٣٠ هـ (٧/ ١٣٥).

(٢) يراجع: البحر المحيط في التفسير (٤/ ٩٠).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد(ﷺ) وعلى آله وصحبه أجمعين .

فتلك الدراسة كانت محاولة للكشف عن بعض الخصائص البلاغية ، وجماليات الآيات القرآنية التي عالجت الشقاق بين الزوجين ، والتي أظهرت وسطية الإسلام ، ونظرته العادلة للعلاقة بين الزوجين ، وحرصه على ديمومتها ، وقيامها على المحبة والمودة ، واستقامتها دون نشوز، وفي ختام هذا البحث أذكر بعض النتائج التي توصلت إليها لعلها تكون ذات قيمة، وقد جاءت الآيات الكريمة مشتملة على عدد من الأساليب البلاغية ، والتي كان لها دور بارز في عرض العلاج في صورة واضحة جلية ومنها:

١- ظهرت وسطية الإسلام من خلال طرحه لعلاج الزوجة الناشز، وتدرجه في عرض العلاج المناسب لها من خلال أفعال الأمر الثلاثة(فَعِظُوهُنَّ , وَٱهۡجُرُوهُنَّ , وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ) حيث جاء الأمر الأول يحمل معنى النصح ، والثاني والثالث يحمل معنى الإباحة.

٢- يعد أسلوب الشرط وهو من أوجز الأساليب ، وأوكدها، من أكثر الأساليب وروداً في الآيات الكريمة، فجاءت أغلبها جملة شرطية، فكانت بمثابة مقدمات ونتائج، فكانت طرحاً للخلاف ، وتعقيبه بالعلاج المناسب له، فضلاً عن إيثار التعبير القرآني بأداة الشرط (إن) دون (إذا) ، وهنا تظهر وسطية الإسلام في التعامل مع النفس البشرية ، فديننا الحنيف ليس فيه إلزام ، ولا إكراه على شيء بعينه ، ولكنه يمنح الزوجين التدبر في أمر أنفسهما حسب ما يرى كل واحد منهما الأصلح له.

٣- لعب التقسيم دوراً مهماً في بيان أنواع الزوجات ، وما يجب على الأزواج تجاه كل قسم بشروط وضوابط حددها الإسلام يحفظ للمرأة كرامتها وعزتها.

٤- نجد أن الأصوات في لغة القرآن الكريم وصلت إلى حد الإعجاز ، وأن الحروف عبارة عن

ريشات مصورة للمعاني ، وترسم الكلمة حركةً وصوتاً ليتسق مع المعنى.

٥- كان لتكرار لفظ (الصلح) في الآيات الكريمة دورٌ مهمٌ في بيان دعوة الإ سلام للمودة، وحر صه في المحافظة على الأسرة وترابطها بما يحقق الأمن للفرد والمجتمع ، فتكراره لفت الانتباه إليه، وتسليط الضوء عليه ، وكأن الصلح هو المراد الذي ترمى إليه الآيات الكريمة.

٦- تنوع أسلوب التكرار في الآيات الكريمة ما بين تكرار الحرف، والكلمة ، والأبنية الصرفية مثل صيغ المبالغة ، واسم الفاعل ، وفعل الأمر، والتي كانت جميعها معبرة عن المعنى أدق تعبير.

٧- جاءت الكناية في الآيات الكريمة لتدل على أن ألفاظ القرآن غاية في النزاهة والشرف من خلال استخدام أسلوب الكناية، عما يكون بين الزوج وزوجته ، والابتعاد عن الألفاظ التي تخدش الحياء.

٨- أن ألفاظ القرآن فضلاً عن دقة اختيارها ، وروعتها في أنفسها، تأتى ملائمة للمقام الذي وردت فيه ، فنجد أن آيات معالجة الشقاق قد جاءت صورة وا ضحة لائتلاف الألفاظ مع المعاني فكان التلاؤم والانسجام، لذا جاءت ألفاظها هادئة تتناسب مع تدعو إليه من استقرار وسكينة بين الزوجين.

٩- اشتملت الآيات الكريمة التي تتحدث عن نشوز الزوج على صورة فنية قائمة على التشبيه المرسل من خلال تشبيه المرأة التي مال عنها زوجها بالشيء المعلق ، وقد أدى التشبيه دوره الرائع في التنفير من هذا الميل من خلال تصويره في صورة حسية أثرت في عقل السامع ووجدانه وتميزت بالحركة التي تلين لها القلوب.

التوصيات وفي النهاية أوصى نفسى وكل باحث في البلاغة العربية أن يستقى أصول هذا العلم من نبعه الصافي العذب (القرآن الكريم) .

وأوصى الأزواج والزوجات بالتمسك بكتاب الله تعالى ، وما فيه من تشريعات تخص الحياة الزوجية ، لو تمسك بها كل زوج ، وزوجة لما كان هناك نشوز ولا شقاق، وتربى الأبناء في جو من الألفة والمودة.

ومسك الختام ، فالبحث ، وما اشتمل عليه من مباحث ما هو إلا عمل بشرى ، فالكمال لله وحده ، وحسبي أنى اجتهدت، وأسأل الله أن يبارك فيه ، فإن يكن فيه من زلل فمنى وحدى، وإن يك من فضل فمنه وحده سبحانه وتعالى، والله أسأل أن ينفعنا بما علمنا إنه ولى ذلك والقادر عليه، والحمد لله رب العالمين .

خامساً: فهرس المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: المصادر والمراجع.

١- أسرار الحروف، أحمد زرقة، دار الحصاد، دمشق، ط١، ١٩٩٣م.

٢- إعجاز القرآن، لأبي بكر الباقلاني محمد بن الطيب، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف - مصر، ط٥، ١٩٩٧م.

٣- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية مصطفي صادق الرافعي، ط٤- مطبعة الاستقامة بالقاهرة (١٩٤٥).

٤- الإعجاز والإيجاز لعبد الملك بن محمد أبو منصور الثعالبي، مكتبة القرآن - القاهرة.

٥- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ، ناصر الدين البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨ هـ.

٦- الإيضاح في علوم البلاغة لجلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني، تحقيق/ محمد عبد المنعم خفاجي، ط٢، دار الجيل، بيروت.

٧- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي، صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، ط: ١٤٢٠ هـ.

٨- بدائع الفوائد، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

٩- البرهان في علوم القرآن، لأبي عبد الله بدر الدين الزركشي تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه.

١٠ - بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة عبد المتعال الصعيدي، الناشر: مكتبة الآداب.

١١- البلاغة العربية لعبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي ، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت ، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

١٢- البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية ، د/ محمد أبو موسى، دار الفكر العربي، القاهرة.

١٣- التحرير والتنوير لمحمد الطاهر التونسي ، الدار التونسية للنشر - تونس ، ١٩٨٤ هـ

١٤- التَّفْسِيرُ البَسِيط ، لأبي الحسن علي النيسابوري، المحقق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، الناشر: عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

١٥- تفسير الطبري ،جامع البيان في تأويل القرآن ، محمد بن جرير الطبري ، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة ، ط١، ١٤٢٠ هـ ، ٢٠٠٠ م.

١٦- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) لمحمد رشيد بن علي القلموني الحسيني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٠م.

١٧- التفسير الكبير، لأبي عبد الله محمد الرازي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، ط٣- ١٤٢٠ هـ.

١٨- تفسير الماوردي = النكت والعيون ، لأبي الحسن علي بن محمد ، الشهير بالماوردي، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان.

١٩- تفسير الماوردي = النكت والعيون ، لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، تحقيق، السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت ، لبنان.

٢٠- تفسير المراغي ، لأحمد بن مصطفي المراغي ، مطبعة مصطفي البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ط١، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ .

٢١- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، للدكتور: وهبة بن مصطفي الزحيلي، دار الفكر المعاصر ، دمشق، ط٢ ، ١٤١٨ هـ.

٢٢- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، د/ محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، ط١، يناير ١٩٩٧م.

٢٣- التكرار الأسلوبي في اللغة العربية ، د/ السيد خضر، دار الوفاء للطباعة ، المنصورة، ط١ ، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.

٢٤- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ، لعبد الله بن عباس - رضي الله عنهما ، جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، دار الكتب العلمية - لبنان.

٢٥- الجدول في إعراب القرآن الكريم، محمود بن عبد الرحيم صافي دار الرشيد، دمشق - مؤسسة الإيمان، بيروت.

٢٦- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع لأحمد بن إبراهيم بن مصطفي الهاشمي ت: د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية ، بيروت.

٢٧- حروف المعاني وبلاغة النص، د/ صلاح الدين محمد أحمد غراب ، وما بعدها بحث بلاغي مقدم إلى مؤتمر كلية اللغة العربية بالزقازيق ، ٢٠٠٩م.

٢٨- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، د. عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، مكتبة وهبة، ط١، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.

٢٩- خصائص الحروف العربية ومعانيها ، حسن عباس ، اتحاد الكتاب العرب ، ١٩٩٨م.

٣٠- الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط٤.

٣١- دراسة بلاغية ونقدية لمسائل علم المعاني ، د بسيوني فيود مؤسسة المختار ط٢ ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

٣٢- دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني ت/ محمود شاكر ط٣-١٩٩٢م.

٣٣- روائع البيان تفسير آيات الأحكام ، محمد علي الصابوني ، مكتبة الغزالي - دمشق، مؤسسة مناهل العرفان - بيروت ، ط٣، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .

٣٤- روح البيان، لإسماعيل حقي الإستانبولي الحنفي المولى أبو الفداء ، دار الفكر - بيروت.

٣٥- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين الألوسي ، تحقيق: علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط١، ١٤١٥ هـ.

٣٦- زاد المسير في علم التفسير لجمال الدين الجوزي المحقق: عبد الرزاق المهدي ، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت.

٣٧سنن أبي داود سليمان بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني،تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا ،بيروت.

٣٨- شروح التلخيص، ط٤ ، دار الهادي ، بيروت ، لبنان، مواهب الفتاح ، يعقوب المغربي.ط١ - ١٤٢٢ هـ.، ط١، ١٤٣٠ هـ.، ط١٧،: ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

٣٩- صحيح مسلم لمسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت.

٤٠- علوم البلاغة البيان ، المعاني ، والبديع، أحمد مصطفي المراغي ، ط١، دار الآفاق العربية القاهرة ـ ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.

٤١- فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)لشرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي ، تحقيق: إياد محمد الغوج.

٤٢- الفروق اللغوية لأبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري (ت ٣٩٥ه)، ت/ محمد إبراهيم سليم، دار القلم والثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر.القسم الدراسي: د. جميل بني عطا، الناشر: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم ، ط١، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م.

٤٣- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل،أبو القاسم محمود، الزمخشري جار الله ، دار الكتاب العربي - بيروت، ط٣ - ١٤٠٧ هـ.

٤٤- لسان العرب لابن منظور، ط٣ ،١٤١٤هـ، دار صادر ، بيروت.

٤٥- المحكم والمحيط الأعظم ، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي ، ت عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

٤٦- معاني القرآن لأبي الحسن البصري، المعروف بالأخفش تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة ط١، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م.

٤٧- معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٤٨- مفتاح العلوم ، لأبي يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، ط٢، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

٤٩- المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم المعروف بالراغب الأصفهاني ،تحقيق: صفوان عدنان الداودي ، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت ، ط١ - ١٤١٢ هـ

٥٠- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، لأحمد بن إبراهيم الثقفي الغرناطي، وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت ،لبنان.

٥١- من أسرار التعبير في القرآن الكريم "الحروف " د/ عبدالفتاح لاشين ، ط١، ١٤٣٥هـ، ٢٠١٤م، دار الفكر العربي .

٥٢- من الخصائص البلاغية واللغوية في أسلوب الحديث النبوي الشريف د/ فتحية فرج العقدة ، ط١، ١٩٩٣م .

٥٣- من بلاغة القرآن ، لأحمد عبد الله البيلي البدوي، نهضة مصر - القاهرة، ٢٠٠٥م .

٥٤- من جمال النظم القرآني في سورة إبراهيم دراسة تحليلية بلاغية، د، صلاح الدين محمد غراب، ط١، ١٤١٠هـ، ١٩٨٩م.

٥٥- من روائع القرآن ، د / محمّد سَعيد رَمضان البوطي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ،

١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

٥٦- المنهاج الواضح للبلاغة حامد عونى، المكتبة الأزهرية للتراث.

٥٧- الموسوعة القرآنية خصائص السور ، جعفر شرف الدين، تحقيق: عبد العزيز التويجزي ، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية - بيروت ، ط١ ، ١٤٢٠ ه .

٥٨- النحو الوافي لعباس حسن ط (١٥) ، دار المعارف.

٥٩- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لإبراهيم بن عمر البقاعي ، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٦٠- الوسطية في القرآن الكريم ، د. على الصلابي ، ط١ ، ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠١م نقلاً عن بحث رسالة ماجستير بعنوان الوسطية في الإسلام ، مقدم من الباحث فريد عبدالقادر ، جامعة محمد بن سعود.